الجمـهورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران السانية

كلية الآداب، اللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

إشكالية المصطلح في النقد العربي المعاصر

رسالة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب:
محمد صامت

إشراف
أ.د. الشيخ بوقربة

أعضاء لجنة المناقشة

نوقشت يوم02 فبراير 2008

د. بلقاسم الهواري.....جامعة وهران.....رئيسا

أ.د. الشيخ بوقربة.....جامعة وهران.....مشرفا و مقررا

د. اسطمبول ناصر.....جامعة وهران.....عضوا مناقشا

أ. إبراهيم علي..... جامعة وهران..... عضوا مناقشا

السنــة الجامعيــة 2007-2008

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

(إهـداء)

- إلى اللذين ربياني صغيرا " أمي وأبي ".
- إلى رفيقة الدرب " الزوجة الكريمة ".
- إلى ثمرة الفؤاد " نسرين " وإلى رحيق العمر " أكرم عبد الصمد".
- إلى فاطمة ، زهرة ، جيلالي عربون أخوة ومحبة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(شكر وعرفان)

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الخالص إلى الأستاذ المشرف : دكتور الشيخ بوقربة على رعايته لهذا البحث وتوجيهه ، كما أهنئه بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية .
وشكر وعرفان للأستاذ عبد القادر قيدوح على مساعداته ، وأتمنى له عودة سريعة إلى أرض الوطن ، كما لا يفوتني أن أتقدم إلى بتشكراتي الخالصة إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

ينزع بحث إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر إلى ملامسة الغايات العلمية الدقيقة والتي قد تستوجب بعض الإجابات الاضطرارية الملحّة من ذلك لا يمكننا تفادي مواجهة إشكالية مدى درجات العلمية أو المعرفة الدقيقة التي يمكن أن يتمتّع بها التفكير الأدبي ، وإلى جانب ذلك لا يمكن إغفال مدى تكامل المعارف الإنسانية الروحية على اعتبار أنّها جميعا تتماهى إلى جهة النفس والانفعال والشّعور والحدس وما شاكلها من التّسميات الروحية الأخرى ، وبالنّظر إلى التّحفيزات البحثية التي يغري بها موضوع إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر فإنّنا لا نملك أسباب تجنّب التّساؤل عن مدى النسبة الحميمية التي يلمسها كلّ باحث بين الأدب من منطلق الإبداع والبلاغة والفنّ ، وبين جانبه الآخر الذي هو الرؤية العلمية والتقييم المنهاجي للممارسة الفنية الأولية بالقدر الذي يمكن تخريجه على أنّه إجراء علمي لتوجيه القراءة النقدية . إذا فما المواصفات الإبداعية التي تحكم كلاّ من الوظيفتين : الإبداعية والنقدية ؟

لقد تصوّرت إشكالية بحث الإشكالية التي اخترتها رؤية نقدية في معالجة موضوع المصطلح النقديّ فتبيّن لي أنّ تداول الموضوع مفض ومنته إلى وظيفة المعاينة والشّرح والتّحليل فهو لا يتعدّاها إلى ما سواها من الغايات البحثية والمنهاجية ، لعلّني أشفع هذا المجهود الأوّلي في الموضوع بمتابعات نقدية بحثية أكون خلالها قد استفدت من هذه المساهمة التي ارتأيت فيها إماطة اللّثام عن أجواء الاعتمالات الثقافية والاجتماعية التي اكتنفت أولية تعاطي ثقافة الاصطلاح النقدي في الأدبية العربية المعاصرة أو الحديثة.

لقد نحت الدّراسات النقدية الأدبية لجهة توظيف المصطلح النقدي ابتغاء توفير الشّروط شبه العلمية التي تمنح التفكير الأدبي العربيّ مصداقية الوظيفية ، ومن ثمّة فهي بتلك المقاربة عاملة على تأهيله لاحتمال الغايات الحضارية والإنسانية التي دأبت آداب الأمم الأخرى على الاضطلاع بها ، ونعتقد أنّ العقلية العربية الحديثة التي واكبت مجريات التّحوّل في الفكر الإنساني الحديث قد طمحت بتوخّيها التّجدّد والتّطوّر والمغايرة إلى كسب المصداقية العالمية ، ويبدو من البدهي أنّ الدّراسات الإنسانية قد باتت تنعت بكلّ تقهقر وانكفاء في نظر رواد العلوم التّجريبية الأخرى الذين باتوا أكثر من أيّ وقت مضى يراهنون على النّتاج المعرفي الذي يخدم الإنسان بصورة أكثر مباشرة وواقعية.

ويكون من حظّ المعرفة الأدبية العربية أنّها دائمة النّزوع إلى الاستجداد فكلّما طرأ طارئ في حقول المعارف الإنسانية تطلّب التّكيف والملاءمة في شأن التّطوّر الفكريّ الإنساني الحديث لأنّ في ذلك الاستدعاء تتمّة لشروط الإنسانية تعزّيزا وملاءمة .

وانطلاقا من حقيقة هذا الأمر فإنّ النّزوع النقدي الاصطلاحي العربيّ ما فتئ يتبلور منذ قديم التّجارب الأولية ليس لشيء إلاّ كونه ينتمي لحقيقة الانفعال الإنساني الذي تكون الذّات العربية إحدى أهمّ مكوّناته العالمية.

ويمكن للباحث أن يعتمد الطّرح النقدي الاصطلاحي من زاوية كون هذا الحقل المعرفي الجديد كفيلا بأن يحيل على الإجراء الوظيفي والتّطبيقي في حيّز الثّقافة النقدية المغايرة للمعيارية البلاغية التراثية ، لقد صارت

القراءة النقدية الحديثة مستعينة بأدوات إجرائية والتي يعتبر المصطلح النقدي أحد أبرز تلك المستجدّات المنهاجية .

لقد سجّلت الإسهامات الدراسية في حقل التّوظيف النقدي الاصطلاحي توجّها تعريفيا بالغ الحساسية ظلّ يتبنّاه الناقد الأدبي العربيّ باعتباره يقرّ ضمنيا بأنّ فعالية المعرفة الثقافية والعلمية العربيتين لا يمكنهما أن تكون في هذه المرحلة إلاّ عبارة عن رؤية تجريبية ستظلّ تلقي بالمصطلح التّجريبي في كلّ مناسبة يضطرها فيها الموقف الأدبي أو الموقف الفكريّ للمغامرة والتّطلّع وانطلاقا من هذا الحسّ الراسخ الثابت في جلّ الدّراسات النقدية العربية الحديثة التي اتّسمت بالريادة والافتتاح والمغامرة منبنيا على مفهوم الاقتراح مثلما ظلّ يعلن ذلك رواد النقد الأدبي الاصطلاحي مثلما ورد في كتاب عزّ الدين المناصرة حين تناول موضوع النقد المقارن في الوطن العربيّ .

ويستطيع المتفكّر في سيرورة الأدبية العربية الحديثة أن يعرف أنّ طه حسين قد ظلّ إلى وقت متأخّر من حياته الأدبية والنقدية يقف الموقف الحسّاس من عالم المصطلح بالنّظر إلى ما ارتآه لاحقا بعوالمه من المغامرة والتّسيّب ، فقد دفعه الارتياب من ذلك إلى أن يظلّ مصرّا على رفض الاعتراف بمصطلح الرواية من حيث ظلّ يسميها المسرحية ، وطه حسين هو من هو حين يقارن موقفه من الثقافة الغربية بمواقف غيره من الأدباء العرب المجايلين له حين نعرف تأليفه "مستقبل الثقافة المصرية".

ويستطيع الذي يقرأ بحث إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر أن يقف على وجهة في تداول مقتضيات الموضوع تتّصل جميعها بالمقدّرات الثقافية والعلمية التي أسّست لنظريات النقد الأدبي العربيّ المعاصر أو الحديث ، ولقد سعينا إلى تفهّم هذين المحورين أي محور المعاصرة ومحور الحداثة على أنّهما متكاملان يتواشجان في أكثر من منزع، ويترافدان في كثير من الغايات التي يصبو إليها البحث النقديّ .

ولقد كان لزاما علينا أن نهتدي في بسط أسباب الدّرس النقدي الاصطلاحي بالبوادر التراثية القديمة في الموضوع ساعين إلى بسط أسباب الترسيخ والتّوطيد مثلما دأب الباحثون على الإلمام بتلك المقدّرات النقدية بحثا عن مبرّر الاختيار وتوطيدا لأواصر التّواصل في الثقافة النقدية الأدبية العربية بين الماضي والحاضر.

وقد يكفينا القول بموضوع الاصطلاح النقدي إلى أن نتفكّر في جملة من المواضيع النقدية التي نراها ضرورية في سياق مقتضيات البحث هذا والتي نذكر منها سمات انتقال الثقافة العربية من الطّور التقليدي القديم إلى ما تتطلّبه الحداثة والجدّة ، وسيكون من اللاّزم علينا البحث عن مناطات الاستنارة التي تثبت حقيقة التّواصل الثقافي العربيّ خاصّة في صورة التّعاطيين الأدبي والنقديّ العلميّ معا.

ولاستجماع مناحي توزّع فصول بحث إشكالية المصطلح النقدي فقد سعينا إلى حشد التفريعات الموضوعية اللاّحقة بتلك الاعتبارات خلال الفصل الأوّل فكانت تطمح لمقاربة إشكالية الحاجة النّقدية الداعية حقيقة لتوظيف

الثقافة النقدية الاصطلاحية ، وقد التبس هذا التّوجّه بجملة من الاهتمامات الثقافية الأخرى منها أثار البعثات التعليمية إلى الغرب في التفطين إلى قيمة هذا العلم والمعرفة في حيّز الثقافة الإنسانية الحديثة أو المعاصرة ، وقد كان لزاما على تجربة التتلمذ على الثقافة الغربية المعاصرة أن يسلّح العقل العربيّ المغترب هناك بالدّعامات اللّغوية الترجمية المثرية لتجربة الاصطلاح النقدي.

ولقد فرضت علينا طبيعة تجذّر الوجهة الاصطلاحية ضرورة الالتفات إلى التّجارب العربية القديمة الراسخة في المضمار فعرّجنا على تجربة الاصطلاح البديعي من حيث هو متمتّع بطبيعة علمية اصطلاحية بارزة لا مجال لإغفالها أو تجاوزها .

وأمّا الفصل الثاني فكان عبارة عن نقد للوظيفة الاصطلاحية من حيث مدى وظيفيتها في تحرير الطّاقات الإبداعية في الأديب العربيّ ، وهل التركيز العلمي أو الثقافي الذي تستحوذ عليه الإشكالية كفيل بأن يلهم الناقد الأدبي العربيّ مقوّمات تفكيرية هي بالضّرورة أكثر إثمارا من تلك التي تكون ناتجة عن الممارسة النقدية الأدبية العادية ؟ ، ولقد تبيّن لنا أنّ الاصطلاح النقدي قائم في جوهره على وظيفة تلخيصية تختصر الفكرة النقدية في قيمة اسمية سيكون من العويص إعمالها في تفهّم أو تذوّق الظّاهرة الأدبية ، وبناء على هذا فإنّ المصطلح هو غاية علمية قد تنقلب ضارّة بالوظيفة الفنية أو الجمالية إذا لم تحدّد لها الأبعاد الوظيفية الخاصّة بجدواها الفكريّ ، فالاستعمال العشوائي للمصطلح النقدي مفض إلى ضرب من التّسيّب والمغالطة والإخلاء .

وأمّا الفصل الثالث فأتى ملخّصا لما سبقه من الفصول ، انصبّ التفكير البحثي خلاله على تداول العيّنات النقدية الواقعة في دائرة الاهتمام الاصطلاحي ، وبالنّظر إلى اتّساع نطاق الاستعمالات النقدية الاصطلاحية فقد اقتصر نظرنا على اعتماد آراء بعض النقاد العرب المحدثين أو المعاصرين منهم خاصّة مصطفى ناصف ، وعز الدين اسماعيل ، ثمّ داخلنا بعد ذلك بعض الاستعمالات النقدية الاصطلاحية المتّصلة ببعض العلوم الأدبية الجديدة من مثل الأدب المقارن ، واللّسانيات وعلم الدّلالة وقد كنّا نصبو خلال ذلك التّعويل إلى تبيان مدى استعداد بعض حقول الدّراسات الأدبية لأنّ يتحمّل الوظيفة الاصطلاحية أكثر من غيره من الحقول الأخرى.

وإذا كان لزاما على الباحث أن يثير المشاكل والمطبّات التي هو ملزم بالاعتراف بإشكالاتها خلال تسيير الموضوع فإنّني أعترف صادقا بأنّ الفترة التي قاربت بحثها مشوبة بالتّخليط والإشكال وليس ذلك إلاّ لكون مرحلة التّأسيس للأدبية العربية المعاصرة والحديثة قد بات ينتابه أكثر من تناقض ظاهر وواضح فقد كان هذا المعبر فرصة للتّضارب والتّطاحن وتصارع الأفكار السياسية التي لم تنهض نهوضها ذلك الوقت من تاريخ الأدبية العربية فقد كان المجتمع العربيّ موزّعا بين القومية والاشتراكية والوطنية والدّينية ، وقد كان ذلك التّناحر كافيا لأنّ يترك بصماته واضحة على كلّ الآثار الأدبية المنتجة في تلك الحقبة من تاريخ الأدب العربيّ ، وربّما كان ذلك المطبّ الذي عرقل حركة النقد الأدبي العربيّ وبالتّحديد فقد كان الصّراع السياسي مناسبة قوية لعرقلة التّأسيس لحقل الدّراسات النقدية الاصطلاحية بمعنى

العبارة . وإن كان للباحث بعض الصعوبات التي تعترضه أثناء إنجاز بحثه فلابد من الإشارة إلى صعوبة الإحاطة بالموضوع إحاطة شاملة ، ذلك أن المصطلح النقدي يتوزع في ثنايا الأدب بمختلف أنواعه ، مما يجعل القبض على تلافيف الموضوع بكامله ضربا من المستحيلات لباحث مبتدئ ، ناهيك عن حداثة الموضوع أثناء تسجيله في التسعينات ، حيث عزت المراجع ، مما جعل الرجوع إلى المجلات أمرا لا مفر منه ، كما لا يفوتني أن أنوه بجهود المشرف الدكتور **عبد القادر فيدوح** الذي رافق البحث في بداياته ، غير أن سفره إلى البحرين جعل البحث يتعثر بعض الوقت إلى أن قيض الله له الدكتور **الشيخ بوقربة** الذي بعث فيه الروح من جديد بفضل تشجيعاته ، ونصائحه القيّمة ، فضلا عن مساعداته المادية والفكرية ، من حيث بعض المراجع والنصائح العلمية التي كانت دربا لنا في بحثنا ، فله منا جزيل الشكر والإحترام .

الفصل الأول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-إشكالية المصطلح في النقد العربيّ المعاصر:

لعلّ من باب المنهجية العلمية أن يرتدّ النقد الأدبي العربيّ المعاصر إلى الاستعانة بالاجراء الإصطلاحي المنظم والممنهج لعملية المتابعة النقدية الحداثية التي صارت أكثر تعلّقا بالفكر الفلسفي الحديث ، فالذي لا يخفى على المتمعّن اللّبيب أنّ التّفكير الأدبي في جهتيه الإبداعي والنقدي ما يزال يشغف كثيرا بالاحتكاك بالمناهج العلمية خاصّة منها المناهج الإنسانية والاجتماعية والنفسية التي صارت المناط الأقوى لإخراج الممارسة الأدبية إبداعا وتفكيرا من مضامير ها الانشائية التقليدية إلى حيّز الممارسة التطبيقية التي تحيل الأفكار الأدبية والفنية والجمالية أكثر واقعية ووظيفية.

وبحسب ما تصوّرناه سبيلا لمداخلة بحث إشكالية المصطلح أو الاصطلاح في ثقافة النقد الأدبيّ العربيّ المعاصر فقد تبيّن لنا بما لم يدع لأدنى تردّد في نفوسنا أنّ الأدب في وجهتيه الإبداعية والنقدية لا بدّ من أن يصدر عن قناعات روحية وفكرية هي التي تمنح صيغه وعباراته التّوثيق الحضاريّ أي لا بدّ من مرجعيات روحية تستند إليها العملية الإبداعية على كلّ مستويات الإجراء الإبداعي ، ولمّا كان بالضّرورة أن يلتبس قيام الحداثة الأدبية العربية على تنازع القيم وتفكّك القناعات فقد بات أكيدا أن تنجرّ بالضّرورة عدة إشكالات تقوم في جميعها على تأثر التذبذب الفكري والروحي اللذين اعتمدا أساسين لقيام حداثة الأدب العربيّ ، ويكون من الموضوعي والمنهاجيّ ضرورة الاعتراف بتفاوت التّجارب العربية القطرية تّجاه هذه المسألة ، أي مسألة حدوث الاهتزازات والتأزّمات والإشكالات في مجال الممارسة النقدية ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالنقد الذي هو المحفزّ الذي يدفع بالهاجس الإبداعي إلى التكوّن والصدور والموئل الذي تنتهي إليه التّصوّرات والانطباعات لا يكاد يتحاشى نتائج التّأثر بتلك المآزق التّكوينية .

ولقد بتنا نعتقد ضمنيا أنّ لكلّ مشروع إبداع أدبي مضمونا نقديّا فلسفيا وتطبيقيا يظلّ يسكن المقولة الأدبية باستمرار ونعتقد تخمينا بأنّ هذا الحسّ الكامن الخفيّ الظاهر هو البذرة أو النّواة التي يتمّ في ضوئها تفعيل الطاقات الإبداعية سواء أكان ذلك في حيّز ابتداع الخطاب الأدبي أم في حيّز ابتداع الرأي والنّظر النقدي .

1-1سمات الإشكال في النقد الأدبيّ العربيّ المعاصر:

قد يتسرّع القارئ لهذا البحث فيرى في قولنا ببحث موضوع الإشكال تعبيرا عن أزمة خانقة تسدّ كلّ مشاريع التّحوّل الثقافي ، وتميت كلّ طموحات الإبداع الثقافي ، غير أنّ الأمر خلاف ذلك كلّه لأنّنا لو تمعّنا المسألة في عمقها لألفينا الموضوع ، موضوع الإشكال في النقد الأدبي العربيّ الحديث منطويا على جملة من التّحريضات الثقافية والأدبية هي التي تصيّر مفهوم الإشكال من دلالة التّأزّم إلى دلالة الفاعلية والتفاعل وقد تمحور الاهتمام حول دلالة الخصوصية الأدبية التي ظلّت تشكّل الموانع الطبيعية التي هي عاملة على استصفاء الدّخيل ، لأنّ جوهر الإبداع الأدبي في تعاطيه الإنشائي أو في ممارسته النقدية لا يصدر إلاّ عن إحساس بانغلاق معرفي تأتي الكتابة النقدية سبيلا إلى تذليله وتفتيق المفاهيم والدّلالات المرتبطة بمقتضياته الفكرية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يتفكّر في تاريخ النقد الأدبي العربيّ لا يكاد يخفى عليه ما انتاب الحركة الأدبية العربية في النّصف الثاني من القرن العشرين وما بعدها إلى اليوم من تجاذبات فكرية وفلسفية ودلالية كانت في مجملها تدور على محاور موضوعية تكاد تتلخّص في إعادة فهم الوظيفة الأدبية ومدى واقعية أو نجاعة التفكير الأدبيّ ، فقد حتّم اختصاص العصر بالعلوم التّطبيقية على الأدباء والنقاد أن يمتاز بالرؤية الواقعية التي تكفل للتفكير الأدبي الخروج من نمطيته التقليدية إلى حيّز التّأثير والفاعلية الإجتماعية .

ولقد كان الصّراع يضرب أطناب جداله بين الرومانسية والواقعية أو بالأحرى بين التيارات الروحية المثالية وبين التيارات الواقعية الإجتماعية التي ارتأت في الوظيفة الأدبية المخلّص الحاسم لتناقضات الواقع العربيّ ، وقد صادف أن تزامنت جملة من المبادئ والأفكار مع مشروع التحوّل الفلسفي في الوظيفة الأدبية والفنية في حيّز الإبداع الأدبي في الوطن العربيّ ، حيث برز إلى الوجود جماعة من الأدباء والنقاد اضطلعوا بتنوير تلك المؤدّيات الفلسفية والفكرية كانوا جميعهم يسعون إلى تقريب الممارسة الأدبية والفنية من وعي الفرد العربيّ وهم لا يخفون خلال كلّ تلك الإجراءات أنّهم يسعون إلى شيء يشبه الثورة أو الانقلاب على المؤسّسة الثقافية العربية التقليدية المحافظة .

ولقد كان لزاما على هذه الحركة أن تشقى جاهدة إلى إعادة تسمية المعطيات ، وتدقيق الاصطلاحات كسبا لروح النقلة التي دأبوا مجتهدين في إحقاق مشروعها الجديد المتجدّد المستجدّ .

وقد يعدّ من نافلة القول التركيز على مدى الإسهام العلمي والوظيفي اللذين أسداهما التّفكير الفقهي أو الشّرعي لوجهة النقد الأدبي العربيّ ، حيث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باتا يتواشجان في كثير من الفعاليات التنّظيرية ، وقد كان لزاما على النقد الأدبي العربيّ أن يقتبس الكثير من مناهجه وقيمه الوظيفية من مشروع الرؤية الفقهية الإسلامية خاصّة في موضوع الوظيفة الاصطلاحية ، وقد لا نبالغ أو نغالي إذا ما قلنا : إنّ النّزوع الاصطلاحي في مضمار التفكير النقدي العربيّ هو سليل التفكير الفقهي قد حذا حذوه النّعل بالنّعل متأثرا قواعده التفكيرية وأساليبه المنطقية ، حيث ليس بالخفي على المتمعّن المتفكّر مدى اعتماد التفكير الفقهي الإسلامي على القيمة الاصطلاحية للأحكام الشّرعية بل إنّ النّزوع النقدي في الأدب العربيّ ليدفعنا إلى تمثل الغايات ذاتها في حيّز النقد الفقهي الذي هو مشحون إلى درجة فائقة بالدّلالات الاصطلاحية باعتبارها المناطات التي تحدّد القضايا والأحكام.

1-2- تاريخ النّزوع النقدي الاصطلاحي :

لعلّ من الموضوعي والمنهاجي النّظر إلى التفكير النقدي الاصطلاحي على أنّه متوافر على الأسباب النقدية العربية الأولى باعتباره نشاطا لغويا في صميم التقدير القرائي للنتاج الفنّي وللبلاغة الأدبية على أخصّ تحديد ، ولو أنّنا سعينا إلى تقدير حقيقة التّوجّهات النقدية العربية الأولى في صميم تبلورها الأوّلي لألفيناها مرتبطة بجوهر الوظيفة اللّغوية خاصّة منها الاستعمال الصّرفي حيث تتحدّد هذه الغاية باعتبارها نزوعا بنائيا علميا أكثر من أن يكون أدبيا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-3- المصطلح النقدي :

يبدو لنا لفظ الاصطلاح قديم التّجلّي ، عريق الهاجس ، غزير التّوارد بين أهل كلّ زمان ، وإذا ما أردنا تجذّر تاريخ حضوره المنهجي ارتددنا بموضوعه إلى بداية النّهضة العلمية المنهجية التي آثرها الدّرس الفقهي في اعتبارات الدّراسة الأدبية وخاصّة منها النّقدية ، حيث كان لزاما على التّفكير الدّيني الشّرعيّ أن يتبنّاه منهج الإجماع الفكريّ من أجل تحديد القيمة الوظيفية المادية والمعنوية لمسألة اجتماعية أو دينية أو نفسية ما، فكان أهل ذلك الاختصاص يلجأون إلى تبنّي الأحكام الشّرعية المضبوطة التي تأخذ بمرور الأيّام طابع الاسمية الاصطلاحية .

وواضح كذلك من جهة اعتبارات أخرى أنّ المصطلح على العموم وارد من جهة التّأثيرات الحضارية المعرفية التي أفرزتها التّرجمة من الثقافة اليونانية إلى الثقافة العربية الإسلامية فقد صادفنا في هذا المضمار كثيرا من العلماء العرب المسلمين يستفيدون من المناهج الفلسفية للمنطق اليوناني في تفهّم ظاهرة الثقافية العربية الإسلامية من مثل الطباعي ، والصّناعي ، والاصطلاحيّ .[1]

ومن جهة أخرى فإنّ علم الاصطلاح فكر ناشئة جذوره التّكوينية الأولى انطلاقا من علم الصّرف العربيّ الذي هو علم يختصّ بدراسة إيقاع البنية اللّفظية الذي ينتظم الاستعمالات اللّسانية المبرّرة للغّة العربية ، فالمفردات

[1] : ينظر ، أبو حيان التّوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج1 ، علي الزين أحمد أمين ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ، ص 9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتفاوت في مستويات تشقيق فروعها بحسب الإمكانات الصوتية والمخرجية المؤلّف لجذر المادّة اللّغوية .

وقد يكون من الضروري والملحّ والمنهجيّ التّعريج على استيفاء حقيقة المعطيات الثقافية التي استنبت فيها تعاطي الاصطلاح النّقدي ، فنقول :إنّ من البديهي لدينا أن نرى أنّ التّجربة الإبداعية الإنشائية سابقة للممارسة النّقدية من الوجهة المنطقية الإحصائية فقد اهتدت النّفس البشرية إلى تعاطي الإخبار والتّصوير والانطباع قبل أن تحوجها صورة الوعي إلى الاهتداء إلى تدبّر المقاصد والوسائل والغايات المكتنفة لتلك الممارسة الأدبية الأولية ، وهذا يتوافق بالطبع والغريزة مع كون الحسّ أسبق في الوجود من العقل فالمحسوسات أولى من المعقولات ، بل لعلّ الفائدة المجتناة من كلّ هذا الجدل أنّ العقل يعتاش على تجارب الحسّ عبر نبواته وإصاباته ، فالعقل يقتفي أثر التّجريب الحسّي يسايره ويواكبه ويتخيّر من التّجارب الحياتية ما نجع منها وما صار قابلا للمعاودة والتّنميط والتّكرار .

والسياق التفكيري السابق يجعلنا نقول :إنّ التّجربة الحسية في الممارسة الأدبية هي الأسبق والأولى في الممارسة والوعي ، ولهذا نعتبر النقد الاصطلاحي شبيها بالحياة الثانية للممارسة الأدبية ، أي عبر ذلك المستوى التّفكيري الذي يستطيع فيه الأديب وعي الأدوات وإحصاء المؤدّيات، حتّى يكون ذلك الإلمام وسيلة ناجعة لإحصاء مقدّرات الظاهرة الأدبية التي نعتبر مزاولة النقد الاصطلاحي أحد أبرز وجوهها التّنظيرية والتّطبيقية معا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- خصائص إبتداع المصطلح النقديالبديعيّ :

نعتقد أن ليس لنا من مبرّر يدعو إلى تبنّي هذا المدخل لدراسة إشكالية المصطلح النقدي سوى كون الأدبية العربية الإسلامية مرورا بكلّ أعصرها المتوالية تستند في صميم انفعالاتها النفسية والفكرية للمرجعية البديعية ، فالإبداع العربيّ وفق شقّيه الشّعري والنّثري سيظلاّن ينزعان المنزع البديعي باعتبارها محور الانفعال الفنّي الغالب على السيرورة الأدبية العربية ، وفوق هذا كله فقد ثبت في تاريخ النقد الأدبي العربيّ أنّ النّزوع النقدي التقعيدي البحت قد شرع يتبلور وفق القيم النقدية الاصطلاحية انطلاقا من ملابسات الدّرس البديعي مثلما تجلّى هذا النّزوع في كتابات ابن المعتزّ وابن رشيق القيرواني وغيرهما كثير ، والذي يرتدّ منّا بتفكيره إلى مكتنفات النّزوع النقدي الاصطلاحي يستطيع أن يتبيّن مدى ثراء التفاعلات الاصطلاحية في حيّز التفكير النقدي البديعي من حيث ظلّ مسارها التّنظيري خاضعا لجملة من التّحوّلات العلمية والتّطبيقية حتى وصلت به مختلف المساهمات والتّجارب إلى أن يبلغ مبلغا علميا تبلور في تحوّل التفكير النقدي الحديث من البديع إلى الفلسفات الفنية والجمالية الحديثة مثلما عاناها روّاد النهضة النقدية الأدبية العربية الحديثة من أمثال العقاد وشوقي ضيف وعزّ الدين إسماعيل ومصطفى صادق الرّافعي.[2]

كان الإبداع في مدارجه البدائية ينساب حرّا طليقا لا تشوبه شائبة نقديّة، يتهدّى إلى مظانّ التّخييل والتّصوير ، وينحت من إيقاعات الأساليب اللّغوية الفنّية ما شاءت له الأحاسيس والانفعالات أن يصيب ، وكان إبّانها إنشاء

[2] : ينظر ، تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ج1 ط4دار الكتاب العربيّ بيروت لبنان ، 1974 ص31

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطابات لا يلتفتإلى وراءَ ، ولا يتصدّع في مرايا النّقد حتّى قويت علاماته ، وأكسبته سيرورته رصيدا تجريبيّا ،هي التي كانت سببا في ظهور النّزوع النّقديّ ، ولا نستبعد أن يكون طهور الحسّ النّقديّ قد تبدّى نتاجا لبداية تشكّل قوّ ة السّلطة السّياسية ، فهو أي النّقد لم يولد منبثقا سابقا للإبداع بل جاء تاليا محصيا واصفا منبّها عابئا بتخطيء المبدعين ،وبذلك فقد كان من المنطق أن يعلن ظهور النّقد عن ولادة مولود عاقّ يقاسم الإبداع عزّته ، ويحايزه المحافل .

وإذا جاز لنا الاعتبار بالموضوع التّقليدي في تراث النّقد العربيّ : اللّفظ والمعنى فإنّنا لا نصادف محلاً مثل بحث موضوع الاصطلاح لتوضيح العلاقة بين اللّفظ والدّلالة من حيث تواقعهما وتجانسهما ، لأنّ للّغة آليات الاغتراف من الواقع والفكر والأحاسيس لا تغادرها ولا تتبدّلها ، وكلّما كانت العبارة أوجز وأقصر كان ذلك أكثر مناسبا لتوزين تلك العلاقة وتوقيعها تبعا لما يصادفه الحسّ من تلاؤم مع العقل خلال التّعامل مع العبارات المتقاصرة، فالموجز أعلق بالحسّ وأوعى في العقل ، وأنسب للملاءمة والاحتياث (... لأنّ الكلام إذا جاء قليلا وقع وقوعا لا يجوز تغييره ...)[3] ، وإنّ أفضل ما يتوافي فيه العقل مع الحسّ بناء العبارة المتقاصرة ، لذلك قيل للقصيدة الحقّة كلمة ، وتفاعل النّاس بالأسماء وتفاءلوا ، ونشطت قرائحهم في ابتداع الباعث على التفاؤل والاسترواح خلال اشتقاق ألفاظها.

إنّ ثمّة مماثلات بين الإبداع من حيث مهمّة كلّ من الانطباع الإنشائيّ وبين التّركيز النّقدي لأنّ في طبيعة تناظريهما مشاكلة عجيبة تتقدّر أبعادها

[3] : الجاحظ ، البيان والتّبيين ،مج:1 ،ج:1 ،ص: 194

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ضمن استراتيجية توحي بأن ننظر إليها في سياق مقاربة أخرى تبيّنها وتفسّرها ألا وهي ثنائيّة السّاحر والمتفرّج فالشّاعر أو المنشئ المبدع على الإ ظهار والابتداء المزاول لتسمية الواقع في تموضع فعل الساحر الوحيد بأن يبذل قصارى جهوده في سبيل إخفاء قوانين اللّعبة الفنية عن طريق محو الصلة البينة بين الاسم والمسمّى بين اللّغة والواقع ،بين صورة الفعل ونتائجه عبر مهارة التّفوّ ق في ائتسار الظاهرة ، فبقدر ما ينجح المسمّى الذي يلمّ أعراض الظاهرة ويستجمعها ضمن مؤدّى لغوي مركّز بقدر ما تتحدّد مهارته في تهريب صنعته عن الأعين لأنّه إذ يطال تلك المزايا يضمن لإبداعه التّعجيب والطرافة والبُهْرَ ، وأمّا مَهمَّة النّاقد فمرتبطة بمدى حفظ المسارب التي بتوصيفها يحلّ لغز الظاهرة السّحريّة ، فالنّاقد يسعى إلى امتلاك المبرّرات ا لمضوعية الفنية التي بها يقوى على ادّعاء حيازته مفاتيح تفسير الظاهرة الفنّية ، ولقد حفل تاريخ النّقد العربيّ قديمه ، وحديثه بالنّقّاد الذي نعتبرهم مبدعين فاشلين في إنتاج الخطابات فاقتصروا على غاية التّذوّق والتّفهّم ، حتّى برعوا فيها ولنا في الجاحظ ، وعبد القاهر الجرجاني والآمدي صفوة الصّفوة ، ولنا في فئة أخرى من الفقهاء ابن قتيبة ، والباقلاّني ، خير مثال على اهتمام نقديّ آخر انصبّت جهوده على الإخلاص لدرس الإعجاز.

وبقدر ما تملّ الذات الإنسانية اسميتها لأنّها عالقة بأسر ملفوظها وحدود مدلولها فإنّها بالضّرورة هي الأوعي لنفسها حسب مقولة القدماء إنّني لا أحتاج لإنسان لكي يعرّفني على نفسي ، فالذات أعرف بذاتها ، وإنّما النّاس تهرس للإسمية والإصطلاح ترميزا وتقديرا ورقما للدّلالة حتّى يسهل نقلها والاعتبار بقاعدة دلالتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-2- ملابسات المنشأالاصطلاحيّ :

نحاول بداية تبصّر العلاقة الرّابطة بين الأدب باعتباره فنّا ، وبين النّقد الاصطلاحي باعتباره علما يناقض المبدأ التّجريبيّ الذي يتبنّاه منهج الإبداع الفنّي ، إذ يتّضح لنا من أبسط تأمّل في ما يشبه البديهة أنّ المحايزة والتّنافر بين نهجين يتوخّى كلّ واحد منهما ، في ظاهره ، مخالفة الآخر ، فالنّشاط الأدبيّ حسب تصوّرنا ناهج سبيلين إحداهما : التّفكير الحسّي فالمتلقّي إزاء هذا الضّرب من المعرفة (...لا يتميّز الشّيء عنده إلاّ بالحسّ...)[4] ، وأخراهما : التّفكير العقليّ المنطقيّ ، فالعقل إذا غلب على إبداع الفنون قيّدها وسطّحها تبعا لما هو مفتقر إليه من طبيعة سياسة المسائل الرّوحية التي سبيلها الحسّ ، وميزانها المطاوعة والمجاذبة والتّداعي ، لا حظ للتّأويل والحدس في التّفكير المعقول ، بل حساب وإحصاء ومقارنة .

ويمكننا اعتبار النّزوع التعريفي للمفاهيم النقدية من أهمّ المحصّلات الإجرائية التي اهتمّ بها البحث النقديّ الاصطلاحيّ حيث يثبت بما لا يدع الشّكّ أنّ النّاقد العربيّ الحديث قد بات يعوّل على الإجراء التّعريفي باعتباره مدخلا مسوّغا لبثّ التفريعات البحثية في موضوع المصطلح النقديّ فلقد وقف أكثر من ناقد على هذه الحقيقة المنهاجية مثلما تجسّد هذا الالتفات لدى بوقربة الشّيخ حين أفرد في بحثه المفاهيم الشّعرية في النقد الأدبي الحديث تفريعا بحثيا أسماه مفهوم الخطاب منح خلاله حيّزا ذا قيمة ملفتة للنّظر للإجراء الاصطلاحي حيث قابل فيه بين جانبي الاصطلاح الغربيّ من جهة

[4] القزويني ، الإيضاح ، في علوم البلاغة ، مج:2 تح: د.محمّد عبد المنعم خفاجة ، دار الجيل بيروت ، ط:3/1993،ص:19

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاصطلاح العربيّ من أخرى ، حيث (... أدّى اختلاف النقاد في ترجمة مصطلح الخطاب إلى اضطراب حدوده ، وعدم اتّفاق العاملين في ميدان النقد الأدبيّ على توحيده ، وتحديد أدبي حدّ من الاستقرار في المنظومة المصطلحية)[5] .

لقد أوتي التفكير النقديّ الأدبيّ العربيّ الحديث كلّ الشّروط الموضوعية التي حتّمت عليه ضرورة المرورة بالثقافة النقدية الاصطلاحية ، وأقلّ ما يقال في الموضوع أنّ الامتياح من معين هذه المعرفة الجديدة قد صار شرطا تحديثيا كفيلا بأن يسم كلّ جهد معرفيّ واقع في دائرة اهتمامه بالجدّة والموضوعية والتّطبيقية وتلك جميعها أشراط علمية صارت الحداثة والمعاصرة تتبنّيانها من أجل الانخراط في المعرفة الأدبية الحديثة ، والذي لا سبيل إلى إنكاره أنّ هذا التّوجّه في النقد الأدبي الجزائريّ الحديث قد بات يعوّل مليا على إسهام الدّرس الجامعي الأكاديمي ، حيث تدعّم هذا الحضور ببروز أسماء علمية وأكاديمية من أمثال عبد الملك مرتاض ، ومحمّد مصايف ، وأما في تونس فقد عبئ المسدي باحتمال هذه الريادة ، مثلما هو الشّأن في المغرب حيث ظهر اسم محمّد برادة ومحمّ{ بنيس رائدين في هذا المقام .

ويبدو أنّ عبد الملك مرتاض قد أتى متبوّئا ريادة الجهود المغاربية المذكورة من حيث تملّك الشّجاعة في الانقضاض على المقدّرات الإبداعية في حيّز توظيف المصطلح النقديّ حتّى ما يدانيه حسب اعتقادنا واحد من الأعلام المذكورين ، فهو دائم التّجديد والتّجريب يداخل المواضيع النقدية الاصطلاحية

[5] : د. بوقربة الشّيخ ، المفاهيم الأدبيةفي النقد العربيّ الحديث ، مجلّة علامات يونيو :2001 ،ص: 331/330

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتستوي له الأبعاد وتلين له مقادير الأفكار وقد عددنا له جهودا معتبرة في كتبه التي قاربت القديم والجديد على السّواء ، ففي كتاب الأدب الجزائريّ القديم ، دراسة في الجذور قد كرّس قسما غير هيّن من فصول الكتاب لاستعراض المسمّيات الاصطلاحية التّطبيقية من مثل شعرية النّثر ، والتّشاكل الإفرادي ، والتّشاكل التركيبي[6] ، غير أنّ الذي أثرى التّجربة النقدية الأدبية العربية هو تمكّن بعض العلماء من إتقان اللّغات الإنسانية الأخرى حتّى صار كلّ جديد واقعا في دائرة معارفهم .. ، وقد صار لهؤلاء الأعلام الأوائل طلبة وتلاميذ وأتباع تفاعلوا معهم بالدّرس والمحاضرة حتّى أكسبوهم قبسا من الفطنة التي سكنتهم حتّى أثمرت المجايلة بالنّماء المعرفي المتواصل.

وحتّى وإن بات النّقد الأدبيّ الفنّيّ يعتقد بتواشج عملي كلّ من العقل والحسّ الذي نعني به جانب المشاعر والعواطف ، فالصّحيح هو تنوّر أحدهما بتجارب الآخر، إذا فمسألة الإصطلاح على الظواهر الفنية يبدو غير مستتبّة نجاعته منذ المنطلق ، إذ كيف للعقل أن يقوى على التّلاؤم مع جانبي الحسّ والعواطف العاملة على إنتاج الفنّ وهما الجانبان المتحايزان المتنافران حسب علمنا بالقدر الذي يستحيل معه اجتماعهما في خطرة واحدة ؟

وإذا كان للمصطلح العلميّ أن يجد له استثمارا وظيفيّا أكثر نجاعة في فنون العلوم الأخرى ، فإنّه في التّجربة الأدبية يبقى محفوفا بكثير من الإنزلاقات المعرفية التي تشهد بمدى توافر لغة الأدب على الحيوية الرّوحية المتجدّدة أبدا فلا سبيل إلى توافر الكلمات المنكفية المكفية بمدلولاتها

[6] : د.عبد الملك مرتاض ، الأدب الجزائريّ القديم ، دراسة في الجذور ، دار هومه 2005 ، ص: 122/120.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرجعية[7] ،كما أنّ (.. ظهور المصطلح الفنّي لكلمة البديع ، لم يقض على معناها اللّغويّ ، وظلّت تستعمل بهذا المعنى فترة من الزّمن ، وتطلق على كلّ صورة شعريّة جديدة بدون تحديد معيّن..)[8] ، فقد ظلّ الإصطلاح منذ بزوغه يراوح بين التّحديد الإصطلاحي ، وبين الغايات التّوصيفية الجاهدة للإلمام بالبديع .

يفضي بنا تداول إشكالات الاصطلاح على فنون البديع إلى القول :إنّ التّواضع في شأنه ليس كالتّواضع في شأن علوم الأدب ، واللّغة الأخرى لأنّه مضمار قائم على نشاط تبديليّ هائل ، وإنّ نشاطه ذاك يسمه بكثير من حرج الاستقرار على صورة إيقاعية واحدة ، فمنهج الإبداع مفتوح على التّجدّد والتّنوّع ، بينما حاجة الإصطلاح تهفو إلى غاية إخضاع ذلك النّشاط للإحصاء والتّقعيد . فلقد ترسّخ في الاعتبارات النّقدية أنّ كلّ حوصلة لمجهود إبداعيّ بوضعه مركّزا في صيغة اصطلاحية اسمية محدودة يجمل إيعازاً ضمنيا بكسر تجدّد ذلك النّشاط الإبداعيّ لدى الأجيال الشّعريّة المتلاحقة ، ووفاقا لذلك فقد ألفينا القدماء يقرّون بإشكال ذلك المسعى فهم يعترفون مسبّقا باستحالة حصر ظواهر البديع ، لأنّها تأتي موقّعة بإيقاع النّدرة والفجائيّة مغافلة لوعي العقل متجاوزة لأطره المعرفية ، وإنّ من بين ما يوثق هذا النّظر الذي طلّنَاهُ خلال هذا التّداول وقوع الاصطلاحيين القدماء في مزايدات اسمية وسمت المصطلح البديعيّ بتطلّب بعض المتمّمات اللّفظية التّوضيحية أبانت عن مدى إقرارهم ضمنيّا بطبيعة تفلّت الجماليات البديعية من أسر الاصطلاح ، قالوا: بالتّشبيه

[7] : ينظر، أندريه مارتيني ، مباديء في اللّسانيات العامّة ، تر:د.سعدي زبير ،دار االآفاق ، ص:100
[8] : د.رجاء عيد ،المصطلح في التّراث النّقديّ ، منشأة المعارف بالأسكندرية ،د.ط/د.ت،ص:21

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحسن ، والتّشبيه الخاطئ ، والتّشبيه المصيب ، والقريب والبعيد . ولا يمكن ردّ أمر احتيارهم في ضبط المسمّيات الإصطلاحية حين يتعلّق الأمر بتسمية هجسة المحسّن البديعي إلاّ إلى كون تلك النّتاجات الجمالية قائمة طبيعتها على معاداة التّنميط ، حتّى ليمكننا القول: إنّ كلّ تبنّ للإجراءات الوظيفية هو في حقيقة أمره فيصل بين الشّعر الشّاعر والنّظم الفاتر، واستنادا لهذا المؤدّى النّظريّ فإنّ كلّ بديع في الشّعر رهين المصداقية الإبداعية بمدى ما تتحفز له أساليبه من إمساس مستجدّات الهَجْسَاتِ المولّدة لإيقاعات المحسّنات البديعية .

وتبعا لهذه المعطيات التّصوّرية فإنّ النّقد انطلاقا من مفهومه التّكوينيّ عليه أن يتخلّى عن مزيّة استباق المشاريع الفنيّة ، ومحاولة هندسة صورتها التّركيبيّة فالمجرون ألسنتهم في مضامير البديع مدركون لانفتاح مجال تفعيل دلالاته على سعة التّوقيع لأنّها فنون لا نهاية لها[9] ، وإنّ حرصهم على إحصاء الظواهر الفنية متأتّ من شغفهم بإحصاء الغريب والتّطلّع إلى الاهتمام بما يوقعه المشهورون بفنون الكلام ، وقد ألفينا القدماء وفاقا لمبدإ تحصيل الوعي الجمالي المتفهّم لضرورة تحرير الحسّ من قيود هيمنة العقل على نزوعات التّجريب الاصطلاحيّ ، مبقيّا لاعتمالات نشاطات الحسّ الفنّي في مجالات تفاعله مع مشاريعه التّصوّرية التّخييليّة ، لقد أدرك القدماء ضرورة إخضاع توليد المصطلحات الفنّية لفسحة من المطاوعة والتّجريب ، من حيث أقرّوا مبدئيّا حقيقة تماهي إشكالات التّسمية فسلّموا بحقيقة إمكان تبدّيها في مسمّيات

[9] :ينظر ، المبرّد ، الكامل في اللّغة والأدب ،ج:2 ، مكتبة المعارف بيروت لبنان ، د.ط/د.ت ،ص: 115

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتناوب على الحيّز الواحد متكاثرة متواشجة مقرّة ضمنيّا عسرة القبض على جوهر حقيقة الفاعلة الفنية ، لأنّها كثيرة النّشاط ، غزيرة الحؤول .

ولم يهتم العرب القدامى بتسمية نتاجاتهم الانفعالية من كان اهتمامهم منصبّا على اعتبارات تقيّم مقول الخطاب لا مستتبعاته النّقديّة ، ولم يكتب لعلم المصطلحات البديعية أن تقوم له قائمة إلاّ بعد حصول رصيد من التّجريب الإبداعي أفرز قيما تراكمية معتبرة جعلت أدباء المتلقّين يتنبّهون إلى تلك الاعتبارات النّظريّة الحاصلة ، فراعوا ضرورة التّوافق بين الحالّ الذي هو الظّاهرة الفنّية وبين المحلّ الذي هو المصطلح ، ثمّ سلكوا لبلوغ غايات التّسمية والاصطلاح موازين صرفية هي في أساسها محيلة على مقاربة الدّلالة الاصطلاحية ، والسّبيل إلى توزين الاعتبارات العلمية في المصطلح البديعيّ وارد من جهة بثّ الانسجام والتّناغم بين الجوهر والعرض[10] ، إذ لابدّ من مقاربة التّدالّ بين الصّيغة الاصطلاحية في صورة وحدتها الصّرفية وبين مدلولها العلميّ المستقطع من سياق التّجريب الإبداعيّ ، فلا مردّ إذن من أن يتوخّى القاريْ استقراء الفائدة المعرفية الطافرة من حدود المصطلح وحده بعيدا عن معطياته الخطابية .

وليس يشكل على العربيّ أن يجد كلّ أسباب التّناغم والانسجام بين تجاربه الانفعالية وبين خصائص توقيع طرائق الأعراب في بثّ جماليات بديعها خلال الإجراءات الخطابية الرّامية إلى تحقيق الطرافة في أساليبها اللّغوية والنّدرة ، فالبلاغة العربية نزوع حسّيّ مركوز في طبيعة العربيّ

[10] : ينظر ، أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقلاّني ، كتاب التّمهيد ،تح:الأب رتشرد يوسف ماكارثيا ليسوعي، المكتبة الشّرقية بيروت ،د.ط/ 1957،ص:12/11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتكامل فيه الحسّ مع خصوصية طبيعتي الزّمان والمكان ، ويبلغ شأن خطورتهما أن يرتدّ أحدهما منبّها على الآخر إلاّ عليه حتّى كأنّ (... لنفس العربيّ طيفا يحرّك اللّغة حتّى بأنفاس الخطرات ...)[11] ، واللّغة وفق هذا المؤدّى ملك السّامع المتلقّي الذي أوتي فضل التّفهّم ، فلا يّرسل خطاب ، ولا تّرفع عقيرة بإنشاد إلاّ توهّمت ذلك الحضور التّواصليّ الآلي لصورة المتلقّي ذي القابلية للتّلقي الفعّال .

إنّ الذي ينتظم تاريخ الاصطلاح على فنّ البديع لدى القدماء هو إشكال الجمع بين الغايتين ، غاية التّجريب الفنّي ، وغاية التّقعيد النّقديّ ، فبقدر ما أصاب الوعي الجماليّ هذه المزية النّكتة ، بقدر ما أحال المصطلح البديعي على ضروب من التّبديلات والاشتقاقات المفسّرة لحقيقة تعارق المعقولات مع الرّوحانيات ، فهما وإن كان يتبادلان التّنوّر وبعض الانزياحات المعرفية حتّى إذا خرجا من السّرّ إلى العلن اكتسب كلّ منزع منهما غايته المنهجية .

2-3- التأريخ لميلاد المصطلح في النقد الأدبي العربيّ :

يعتبر النّزوع الترجمي في ثقافة النقد الأدبي العربيّ من المسوّغات الحاسمة لاعتماد الناقد العربيّ للنقد المصطلحي وقد كانت ثمّة علوم فرضت نفسها بالنّظر إلى هي قائمة عليه من إلزامية التسلّح بقيم العصرنة والتّحديث ولعلّ دروس دي سوسير تعتبر أهمّ مولج اتّخذ سبيلا لمداخلة كثير من المفاهيم النقدية ، والدّرس السوسيري وإن متّصلا الاتّصال الوثيق بالدّرس اللّغوي اللّساني الصوتي فإنّه ظلّ يبسط كثيرا من أفكاره التّطبيقية على المساهمات النقدية التّطبيقية هي الأخرى وإذا كانت كلاسيكية الحداثة النقدية قد ألحقت

[11] بمصطفى صادق الرّافعيّ ، تاريخ آداب العرب ، ج:1،ص:229

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفهوم الصورة بالوظيفة الشّعرية فقد اكتشف الوعي النقدي العربيّ امتداد آثار هذا الاصطلاح ليلحق جملة من التّوظيفات من أهمّها الصورة السّمعية خاصة في مقولة (إنّ العلامة لا تربط بين الشّيء والاسم بل بين المفهوم والصّورة السّمعية)[12] ، , وأحرى بكلّ تفريع في الاصطلاح الواحد من هذا القبيل أن يحيل الناقد الأدبيّ على تدقيق المفاهيم وتحديد الحقول وتوضيح الإجراءات التطبيقية خاصّة وأنّ التّوافق بين الدّرس اللّغوي والإجراء النقدي الأدبي قد تدعّم وتمتّن راسخا من حيث اعتماد الوظيفة النقدية على بحث الظاهرة اللّغوية باعتبارها المجال الإبداعي الأكثر نشاطا وحيوية في تفعيل الخطاب الأدبي قديما وحديثا، ولعلّ اهتمام الناقد الأدبي العربيّ بمقتضيات المعرفة الاجتماعية والنفسية قد صار يدفعه حثيثا إلى تعمّق التفكيرين الواقعين في دائرة هذين الاهتمامين وبالتّحديد علم الاجتماع وعلم النفس خاصّة وأن الكتابات الأدبية العربية المداخل للحداثة قد صارت تسعى جاهدة لتوصيف الواقع العربيّ نفسانيا واجتماعيا[13]

للعّ من المضوعيّ في جث المصطلح النّقديّ أن لا نتجاوز مقولات التّأسيس لميلاد ظاهرة علم الاصطلاح دون أن نعرّج على بوادرها التّأسيسية في تاريخ الأدب العربيّ ، وهذا ما يسلمنا طواعية إلى تفتيش الكتابات النّقدية العربية الأولى ، ويكون من الأحرى الاضطلاع بقراءة طبيعة المؤلّفين الأوائل في مداخلة مبادئ هذا العلم الأدبيّ ، وإذا كان لتاريخ الأدب العربيّ من نزوعات تأسيسية فإنّنا رأينا في كتاب طبقات الشّعراء ما قد نمّ عن تلك

[12] Ferdinand; de saussure . cours de linguistique generals paris payot 1978 p: 98:

[13] ينظر: Emile. benveniste . semiologie de la langue : problemes de linguistique generale / paris; gallimard 1965; 44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإرهاصات المبكّرة التي كانت تتحسّب انبثاق هاجس الاهتمام بهذا المؤدّى العلمي الذي سيفتح بدون شكّ في الدّراسات الأدبية حيّزا بالغ الأهمية يفرّع الرؤية الأدبية ويهبها كثيرا من مزايا التّنوّ ع والتّعمّق .

ولقد صادفنا كثيرا من التّلميحات النقدية في مقدّمة كتاب طبقات الشّعراء نحا فيها ابن سلاّم منحى توصيفيا لامس فيه كثيرا من المفاهيم النقدية التي ظهرت على يده ثمّ ما فتئت أن نالت من أسباب التّطوّر والنّماء ما كتب لها الله أن تتطوّ ر ، ففي مضمار القول بعلم الأدب ألفينا ابن سلاّم يقارب هذا المفهوم (...كان الشّعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه ...)[14]

ولعلّ دلالة لفظة العلم هاهنا مقصود بها العلم الحدسي الحسّي والشّعوري ، بدليل قولهم ليت علمي ، وهم يعنون بذلك المعرفة الظنية المرتكزة على الفراسة والقيافة والظّنّ والتّوجّس والمخالجة .

ولأنّنا نعلم أنّ في فنّ الأدب من المزايا المعرفية ما هو منها قابل للمعاينة والإحصاء والتّطبيق ، ومنها ما هو مفرط في الروح والخوالج والمظانّ الروحية الشّديدة الحؤول والتّخفّي، لذلك يعسر القبض على الظاهرة الأدبية الفنية مشخّصة كما ينبغي لها أن تتشخّص وتبرز للوجود ، ومنها ما هو واقع تحت طائلة المعرفة العقلية اليقينية فيكون اتّسامه بذلك الاختصاص عاملا على قابلية الاصطلاح عليه والاتّفاق ، وإنّ لهذه المرجعية الازدواجية متّكأ مزدوجا يستند إلى تدخّل كلّ من العقل والحسّ في وسم الدّلالة الأدبية ، فالحيّز

[14] :ابن سلاّم طبقات الشّعراء ، اللّجنة الجامعية لنشر التّراث العربيّ ، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر ،ص:10

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينهما مشترك متداخل وفي مضماره يستظلّ العقل بالحسّ مثلما يستظلّ الحسّ بالعقل في تواشج مفعم بالتّداخل والتّناغم والتّكامل في الوظيفة المعرفية .

لقد تطوّر حدس علم الاصطلاح أو فنّ التّسمية الإبداعية مع مرور الوقت وحصول التّراكم التّجريبي ، فبحلول العصر الإسلاميّ الأوّل طرأت مبادرات علمية جديدة كان لعلم الفقه بكلّ مستلزماته المعرفية فضل التّنبيه على ضرورة اعتماد صياغة معرفية جديدة قوامها الاختصاص بتسمية الظاهرة الفكرة أو الظاهرة الاجتماعية حتّى ترسّخ الفكر وأثمر الاعتقاد ، فكان العرب المسلمون يقولون بالأعرابيّ والمولّد والمخضرم ، والصّحابي ، والتّابع وتابع التّابع ، وعلم الأصول ، وشروط الإيمان ، وقد كان حرص الملمين على مراعاة الحدود الشّرعية العامل الحاسم في دفعهم على ترسيم حدود المعتقدات وأحكامها من أجل مراعاة احترام شروطها الحياتية الوظيفية، وقد يكون في المستطاع تسمية هذه المرحلة من تطوّر المعرفة العربية الإسلامية بمرحلة الاختصاص والانضباط والحوصلة ، حيث لا يمكن تسمية الظاهرة إلاّ بعد الالمام بمقدّراتها الموضوعية ، عن طريق استيعاب شروطها المعرفية المتنوّعة التي تستجمع في مسمّى واحد تحدّده الصّيغة الاسمية للاصطلاح.

لقد تنبّه ابن المعتزّ (296هـ) إلى حقيقة حاجة الحسّ إلى حريّة الانفعال بالقيم البديعية دون حاجة منه إلى اعتماد إحصاء الفتوحات الإبداعية، فقد كان البديع يرد بصورة عفوية حرّة طليقة في أشعار القدماء ، لذلك فإنّ ابن المعتزّ يعوّل في مفتتح اشتقاق المصطلحات البديعية على حقيقةتفلّت فنّ البديع من كلّ حصر وإحصاء (.. ليُعلم أنّ بشّارا ومسلما ـ مسلم بن الوليد ـ وأبا نواس ومن تقيّلهم ، وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفنّ ، ولكنّه كثر في أشعارهم فعُرِفَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في زمانهم حتّى سمّي بهذا الاسم ، فأعرب عنه ، ودلّ عليه ..)[15]، ولقد كانت من أسباب توجّه ابن المعتزّ هذا التّوجّه الإحصائيّ التّأسيسيّ التّجذري التّعويل على تشخيص المكّونات الجمالية العربية الخالصة إزاء ما كانت تهبّ على المجتمع العربيّ من أسباب الدّوبان في الثقافة اليونانية المستفحلة آنذاك [16].

وإنّ في ورود البديع عزيزا نادرا ما يحيل على مشروعية المقولة التي ركّز عليها ابن سلاّم[17] التي مفادها أنّ بنية الشّعر قديما كانت قليلة مركّزة توافق الانفعال بالهجسة الواحدة فلا تتداعى الواحدة منها إلى ما يجاورها من المتمّمات اللّفظيّة ، وإنّما احتاج الشّعراء إلى تطويل الشّعر وتوظيف صور البديع إرضاء منهم لرغبات الممدوحين ، حتّى كان ذلك النّزوع إلى تركيب الخطاب الشّعريّ بمثابة الإعلان عن بداية تقصيد الشّعر، وإنّ هذه الطروحات لموصلتنا إلى تعميق النّظر في المسائل الجمالية اللائطة بإبداع فنون البديع ، فلقد سبق للجاحظ[18] أن ركّز على فائدة استطراف الكلام القليل البنية ، لأنّ الكلام إذا قلّ وقع وقوعا لا يجوز تغييره من شدّة ما يتوقّع به من شدّة انسجام عناصره البانية له .

لقد كان ابن المعتزّ قويّ الوعي في التّنبّه إلى ما أقدم عليه من مزيّة افتراع علم البديع ، وهم ما قاده إلى الاعتزاز بتفرّده في ابتداع هذا النّظر حين قال : (..لأنّ البديع اسم موضوع لفنون من الشّعر يذكرها الشّعراء ، ونقّاد

---

[15] :ابن المعتزّ ، كتاب البديع ، تح:إيغناطيوس كراتشفو فسكي ، دار المسيرة ،د.ط/ د.ت ، ص: 1

[16] : ينظر، دعائشة حسين فريد ، منهج البحث البلاغيّ ، دار قباء للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ط:1/1977

[17] :ينظر، ابن سلاّم طبقات الشّعراء ، اللّجنة الجامعية لنشر التّراث العربيّ ، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر ، ص:11

[18] : ينظر، البيان والتّبيين ، مج:1 ، ج:1،دار إحياء التّراث العربيّ ،بيروت لبنان ، د.ط/1968،ص:194

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتأدّبين منهم فأمّا العلماء باللّغة والشّعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ، ولا يدرون ما هو وما جمع من فنون البديع ، ولا سبقني إليه أحد ، وألّفته سنة أربع وسبعين ومائتين ..)[19]

لقد مثل انبثاق المصطلح البديعيّ تشقيقا معتبرا في سياق تنامي الوعي النّقدي ، من حيث كان منهج تبنّيه كفيلا بإخراج النّظريّات النّقدية لدى القدماء من إطارها الانطباعيّ المشتّت الرّؤية إلى فضاءات فكريّة جمالية شاكلت في كثير من تجلّياتها ما تتنادى به النّظريّات النّقدية الجمالية البنيوية في حداثة الأدب المعاصر ، فقد نقل الاصطلاح البديعيّ المفاهيم النّقدية من مجرّد الانطباع النّظريّ إلى حقل الإحصاء والتّطبيق ، وبالرّغم ممّا اعتور تركيز المبدعين على تبنّي خصائص البديع الإيقاعية والأسلوبية من حيث أصبحوا يتحرّون النّظم على منوال قواعده التّنميطيّة ، فقد استطاع نهج التّعاطي مع جماليات البديع أن يؤسّس مدرسة نقدية غنية بالتّجدّد والتّطوّر ، ليس يضيرها ما انبرى عليه بعض الشّعراء من سرقة بعض الأنماط البديعية وتصييرها في أساليب الخطاب قاعدة للنّظم والمشاكلة .

ولا شكّ في أنّ ابن المعتزّ لم يطفر هذا العلم في فهمه خَطرَةً وَاحِدَةً ، وإنّما الأرجح أن يكون قد عانى إشكالاته الفكريّة والجمالية لزمن غير قصير، فهو شاعر يعوّل على العلوم الحدسية التي لا تدرك إلاّ بالظنّ والتّوهّم ، ثمّ يكون إزاء تلك التّفاعلات التّخمينية قد فهمه فهما جماليا متساندا إلى طبيعة الشّعراء في وعى الأشياء ، فابن المعتزّ ، المنظر لجماليات البديع ، ما ينفكّ

[19] :ابن المعتزّ ، كتاب البديع ، ص:58

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصرّح في متن بحثه بإسناد بعض مصطلحاته البديعية إلى الجاحظ على سبيل المثال حين تبنّى عنصر ، المذهب الكلاميّ [20].

ولقد هدته قوّة تحسّس جماليات توقيع الأساليب البديعة إلى وعي ما لتفاوت مراتب الألفاظ وخروجها عن مستحقاتها البنيوية النّحوية من لذة قائمة على حبّ الذات المراوحة بين قيم الأشياء ، فتوصّل إلى تشخيص جماليات الاستقطاع الأسلوبي الذي ينتجه اعتراض كلام في سياق كلام آخر استثناءً ، فكأنّ لتداخل أزمان الأحداث لذاذة التّواشج والتّشاكلّ ، غير أنّ ابن المعتزّ يختلط عليه الأمر حسب نظرنا فيجاور بين ظاهرتين تنتميان لحقل جماليّ واحد مثلما يبدو من إشفاعه باب الاعتراض بباب الخروج من معنى إلى معنى ، حتّى إذا أسهب في استدعاء المصنّفات البديعية أشكل عليه الأمر وتداخلت لديه المفاهيم ، فصار يتوهمّ المفترقات في الموحّدات ، وغدا ينظر إلى المسألة الواحدة من زوايا متعدّدة يتوهّم فيها التّنوّع وهي قائمة على المؤدّى الواحد ، فتنحلّ قوى الاصطلاح لديه ، يخرج إزاءها من التّسمية والاصطلاح إلى الملاحظة والتّوصيف ، ليكون لنا في اضطرابه هذا توكيداً فيصلا لما ارتأيناه بأنّ مصطلح البديع نما وترعرع وفق حاجات جمالية معرفية ، كانت بمثابة الحلقة الواصلة بين نقد انطباعيّ قائم على الرّغبات الذاتية الخالية من الموضوعية ، وبين مرحلة نقدية واعية لتوصيف المهمّات الفكرية الجمالية التي يجب على النّاقد توخّيها.

ولم يكن تركيزنا على مداخلة موضوع الاصطلاح النقدي انطلاقا من الوجهة البديعية إلاّ لكون هذا الحقل الدّلالي الذي نراه ملائما بين جهتي الإبداع

[20] :ابن المعتزّ ، كتاب البديع ، ص: 53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفنّي والتفكير النقدي العلمي ، إلاّ لكون الحسّ العربيّ والعقل معا مرتبطان أوثق رباط بالقيم التفكيرية التي يستحوذ عليها مبلغ هذا العلم الراسخ في الأدبية العربية منذ أصولها الأولية بدون منازع.

وتأتي خطورة البديع التي هي أهمّيته في مفهوم النقد الجمالي انطلاقا من كون هذا المنحى يعتبر المميِّز الأوفى لشعريّة شّعر الشّاعر[21].

وتبدو نجاعة الوعي النّقدي لمصطلح البديع ها هنا ذات جدوى بالغة حيث يتمّ بموجب وعي تجلّيها التّمييز بين شعر وشعر، استبطانا لمفهوم أكثر عمقا لمفهوم الشّعريّة في زمن طغى فيه الخلط بين الشّعر والنّظم واستفحل ,فقد اتّضح بعدئذ أنّ البديع لا يحضر إلاّ عزيزا ، ولا تنقشع عنه فضاءات الكلام إلاّ طريفا نادرا ، وهو بحفاوته تلك مكسب لدّلالات التّعجيب والهِزّة ، وفي نفس المتلقّي الغبطة والأريحيّة .

إنّ أهمّ وظيفة تشخّصت في النّزوع النقدي البديعي كامنة في الوظيفة التطبيقية التي بات يستحوذ عليها علمه ، حيث ارتبط بإجراءات نقدية تطبيقية نراها على أنّها كانت المخلّص الملموس للدّهنية النقدية الأدبية العربية القديمة، فقد تشخّصت وفق تلك الالتزامات جملة من الإنجازات النقدية الملموسة التي كرّست التفكير النقدي الأدبي التقعيدي الذي ظلّ يتوق إلى تأسيس الرؤية الأدبية العلمية التي سوف تبقى محافظة على نكهتها الفنية لأنّنا نعتقد أنّ العلمية

[21] : ينظر: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الآعجاز ،تح:السيّد محمّد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت لبنان ، 236يبلور عبد القاهر الجرجانيّ مفهوم الشّعر أو الشّعريّة بكلّ جرأة مخالفا مفهوم القدماء فيكون بفضل هذا الالتفات قد فتح باب ضرورة تطوّر المناهج النّقدية بين القدماء والمحدثين مثلما ينتصر صراحة لأشعار المولّين معطيا إياها مصداقية المعاصرة وخالف مفهوم الشّعر لدى أبي عمرو الشّيباني ، وثعلب ، وغيرهما ممّن يتحمّسون لتفضيل كلّ قديم على كلّ محدث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذات مستويات تكون العلمية الأدبية أو بالأحرى الموضوعية الأدبية هي إحدى تجلياتها الوظيفية.

فالإبداع إذا استحكمت بنيته وترسّخت أبعاده الحسّية كان كفيلا بتشخيص وظائفه الجمالية ، قمينا بحفظ خصائص الانفعال بمميّزاته الأسلوبية، لذلك لم يجازف ابن المعتزّ في إحصاء الظواهر البديعية التي لم ينضج تداولها واكتفى بما ترسّخت في الاعتبار البلاغيّ ، حتّى كأنّه من هذه الوجهة مهتمّ بإحصاء المكرورات ، على شاكلة ما اتّبع فيه الشّعراء العرب مبتدعات امريء القيس خاسف عين الشّعر، وباري نَبْعَتَهُ .فكان ممّا استجلاه ابن المعتزّ أن تخيّر توقيعات أسلوبية بيانية استطرفها لورودها مبتدعة نادرة بديعة ، فكان يرى إلى مفهوم البديع على أنّه الجديد لا قرّ دعمّا سبقه ، فشخّص : الاستعارة التي أضحت فيما بعد تَصنّف إلى استعارة تقليدية ،واستعارة بديعة أي جديدة طريفة[22].

وبما أنّ فنّ الاستعارة فاش في أحاسيس الشّعراء متمكّن فقد هيمن مصطلحها على حيّز غير قليل من كتاب ابن المعتزّ ،ثمّ أشفعها بذكر فنّ بديع التّجنيس الذي هو ألحق بالمكوّنات الصّوتية اللّسانية للأساليب اللّغوية منها إلى الدّلالات والمضامين ، لأنّ في طبيعة اللّسان العربيّ أن يلتذ المتجانسات الصّوتية فيكون له تحسّس بالغ للفوارق التّلفيظية اللاّئطة بتلك الاعتبارات ، في موادّها الصّوتية ومخارجها وأزمان مقاطعها ، وبنياتها الصّرفية ثمّ انتظامها

[22] لكي يشخّص ابن المعتزّ هذا التّميّز يلجأ إلى استعمال المتممّات الوصفية اللاّحقة بمصطلح الاستعارة فيقول :بديع الاستعارة ، ومعتادها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراتب الألفاظ البانية لسياق الكلام ، والتّجنيس ضرب من الزّخرف الذي يقوى على مشاكلة النّسوج التّشكيلية الغالبة على الفنون الإنسانية الأخرى .

وإذا انتهى ابن المعتزّ من تفصيل المقال في موضوع التّجنيس تلاه بذكر المطابقة التي يقابلها في النقد الحديث مفهوم البنيات الضّدّية ، أي تدالّ المتناقضات وإنّ لهذا المفهوم اعتبارات فلسفية تتجذر منطلقاتها الأولى من تألف المتحرّك والسّاكن ، ثمّ يأتي إلى ذكر ردّ أعجاز الكلام على ما يقدّمها، فيخرج الاصطلاح عندها من إطلاق المصطلحات الاسمية إلى تصييرها في شكل أحكام نقدية بالغة التّعقيد فتصيب المكوّنات الأسلوبية الشّاملة للخطاب .

ولتمحيص وقوف التّداول الأدبيّ لدى القدماء عند حدود التّمتّع السّماعيّ بجماليات الخطاب ، لا تحدوهم إزاء ذلك نيّة في نقد مقولات الخطاب ، فقد ألفينا استواء ذلك المناخ على عهد ابن طباطبا العلويّ[23] ، إذ لا نصادف بين موضوعات كتاب "عيار الشّعر" ما يثبت توجّهه إلى إحصاء علامات البديع ، وإنّما كانت جهوده فيه منصبّة على توصيف القضايا الأكثر عمومية من مثل شروط عمل الشّعر.

لم يغن الاصطلاح البديعيّ غنى مصطلحات حقول التفكير الأدبيّ الأخرى من مثل : الاصطلاحات النّحوية ، أو الصّرفية أو العروضية فبمجرّد دخول الأدبية العربية الإسلامية معترك التفكير التّحديثي صارت في أمس الحاجة أكثر من أية مناسبة سابقة إلى تجريب أساليب التفكير الإنساني العالمي وقد ألزمها ذلك الانخراط ضرورة التفاعل مع المكوّنات الفكرية العالمية

[23] : ينظر، عيار الشّعر ،تح: محمّد زغلول سلام ، دار منشأة المعارف بمصر، الاسكندرية ،د.ط/د.ت ،ص"43/42.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخرى والتي لم يكن للعرب والمسلمين سابق عهد بها خاصّة منها التفكير النقدي العلمي المتّصل بأسباب التفاعلات الحياتية الأخرى من علم نفس وعلم اجتماع وعلم إحصاء ، على أن نهض بمدلولات النقد الاصطلاحي الفنية تراثيا أعلام من النّقاد من مثل الباقلاّني ، والقزويني استكمالا لما احتفره ابن المعتزّ في بادئ أمر هذا العلم بالفنّ ، فكان من أمر تناسخ سياقاته الابتداعية ما أغنى المصطلحات الأولى التي استُكشفت في باديء الأمر، لذلك فإنّ ندرة المصطلح من ندرة هذا الفنّ الذي لا يرد إلا عزيزا مُحتفلا به .

2-4-الغسل والإخلاء سبيلا إلى تفعيل القيم التّأويليّة :

إنّ من أهمّ الإشكالات التي صادفت سيرورة الإبداع الأدبي وقوع النّقاد العرب القدامي في مغالطات جمالية تبنّوها من منظور قاصر لا يفي بحقيقة الإمتاع الفنّي التي يتوخّى الإنسان ذوقها في نشاطاته الإبداعية ، من ذلك تعنّتهم في اشتراط الدّلالات المعنوية الفكريّة الواضحة المعالم لكي يقضوا للشّعر بالفائدة .

ولعلّ أقوى ما يتواشج معه مفهوم الإخلاء أو الغسل وسمهم بعض الشّعر بالقصور عن الغايات ، فكأنّه قاصر عن حصر المعنى والإيفاء به ، فهم يسعون بهذا المسمّى إلى تغليط الشّعراء في إصابة المعاني،بالرّغم من قيام الدّلالات الشّعريّة على الحدس والتّوهّم والوسواس ، فليس يقوى عقل بعد ذلك علىالحجج التي يتوخّاها الشّعراء في أشعارهم .

وأمّا مصطلح الغسل أو الإخلاء فهو من المصطلحات المغمورة التي لم يكتب لها أن تنال نفس فرص الإشهار التي حظيت بها الجماليات البديعية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخرى، أمكن للباقلاني[24] أن يتنبّه إليها ,قد جاء استكشافها نتيجة حتمية لفضّ الخلاف بين القائلين بجدلية الصّدق والكذب في المعاني الشّعريّة ، ولقد سبق أن استرعى انتباهنا تفاوت النّقّاد القدامى في تقدير شعر بعينه ورد متداولا بين كثير منهم ، ألا وهو الشّعر القائل :

ولمّا قضينامن منىً كلّ حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدّت على حدب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادي للذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننـــا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح[25]

فقد اعتقد بعض النّقاد بعدم جدوى هذا الشّعر لذهابه مذهبا في تمعين لدّلالات الشّعريّة التي لا تظهر، فتوخّوا بذلك المطلب أمرا يشين جماليات الشّعر ولا يزينها ، وذهبوا إلى الفصل بين اللّفظ والمعنى مقرّين بمحاسن إيقاع أساليبه ، ناظرين إلى عدم جدوى جانبه التّمعينيّ ، حتّى جاء عبد القاهر الجرجاني في أسرار بلاغته ، أو دلائل إعجازه[26] بما يبدّد هذا الزّعم ، ويسفّه هذا التّخريج ، فولّد مضامينه البيانية لتغنى بعد إجداب ، وتتشخّص بعد إمحال ، وشاكل في قراءته الجمالية لبديع هذا الشّعر بين حاجة الأساليب الشّعرية إلى التّماهي في المتمّمات اللّفظية الباثة للظنّ والتّخالج مجانسة لحقيقة تماهي المعاني الشّعريّة إلى الظنون والأوهام استيفاء لمتطلّبات الحدس، فالمعاني

[24] :دلائل الإعجاز ، ص:115

[25] :ابن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ،تح: مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط:1/1980،ص: 14 ومن شدّة ما حازه هذا النّموذج الشّعريّ من غواية الزّخرف البديعيّ أن فرض حضوره التّطبيقيّ على مبحث جمالي ن في نظرية اللّغة والجمال ، فكان أن استفرغ في شأنه الباحث كثيرا من القضايا الإيقاعية والمعاني التّأويلية ، ينظر: دبّامر سلّوم نظريّة اللّغة والجمال في النّقد العربيّ ،دار الحوار للنّشر والتّوزيع ، ط:1/1983،ص: 211/210.

[26] : ينظر، دلائل الإعجاز ،ص:59

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مطروحة في الطريق ، وهي شائعة في وعي المتلقّي لا في متن الخطاب بالضّرورة ، واللّغة ملك السّامع لا المنشئ .

ونعتقد أن ليس لنا من غاية في إمساس موضوع التفكير التقديري أي المعيارية بتطرقنا إلى موضوع المصطلح البديعي إلاّ لكون هذا التّوجّه يعتبر المنزع الأصيل في حيّز التفكير النقدي الاصطلاحي الذي سيظلّ يمثل المبرّر الحاسم والأقوى في المنهاجية التي سيتبنّاها التفكير النقدي الأدبي العربيّ في مدخلة مشاريع التّحديث الفكريّ المستجدّة.

الشّعر المغسول : هو الشّعر العاري من كلّ فضيلة إبداع ، وإنّما تكون حال غسله تلك بمثابة التّربة البور التي تهيء الفضاء لقيام إيقاع البديع خلالها استحكاما لبثّ النّدرة والنّكتة والتّعجيب .

وأما الشّعر الخالي (الإخلاء) فشعر غلب عليه التّلفيظ وعري من التّضمين المعنويّ الصّريح ، فاندسّت دلالاته وخفيت حتّى لا يكاد تبين إلاّ بالتّأوّل والاستقراء والاستدلال ، وللمتفكّر المتأمّل أن يبادر إلى قياس مدى أهمية القيمة التفكيرية التقديرية التي تنطوي عليها المواضيع النقدية الأدبية العربية التراثية ، ولنا أن نعتبر أنّ التّوصّل إلى ثبت مثل القيمة النقدية التي تدلّ على إشكالية ثنائية الدّلالة الشّعرية وهي تنطوي على المقدّرات البلاغية الروحية المتفلّتة من الاعتبارات التقديرية أي إثبات الحكم التقديري في تشخيص الدّلالات والأفكار والمعاني إنّما يعدّ كلّ ذلك من المواقف الحرجة العويصة التي تستدعي فطنة تفكيرية بالغة الحساسية والتي يمكن اعتبارها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسألة داخلة في حكم الإجراءات النقدية الدّاخلة في اعتبار الفصل بين الأصيل والدّخيل مثلما ظهرت وتشخّصت في كثير من الكتب النقدية الترجمية[27].

3- القيمة اللّغوية والصرفية للنّزوع الاصطلاحي:

لو تأمّلنا حقيقة الصيغة المعرفية للمصطلح النقدي لما صادفناها تخرج عن كونها استعمالا خاصا للّغة العادية ، بالقدر الذي يجعلنا نقول إنّ الصيغة الاصطلاحية لن تتعدّى في حقيقة مكوّناتها اللّفظية أو الصوتية أن تكون عبارة عن لغة مركّزة في شكل ألفاظ مفردة أو مركّبة ثنائية أو ثلاثية تختصّ بالإحالة على مرجعية فكرية محدّدة ، ويمكن لهذا التركيز الدّلالي أن تظهر آثاره القرائية والدّلالية بصورة واضحة ومباشرة على حيثيات تداول الصيغة الاصطلاحية ، فهي إمّا أن تصيب مبتغاها الوظيفي وإمّا أن تجانبه ، لذلك فإنّنا نرى المصطلح النقدي محكوما بوظيفة دلالية لا تقبل المجاز[28].

وقد يكون من الموضوعي القول :إنّ كلّ ثقافة معجمية اصطلاحية مرهونة بثورة نجاعتها المعرفية وبما تقدّمه من ضبط علمي لمختلف النّتاجات الفكرية الإنسانية التي قد تتنزّل إلى الواقع الثقافي منقطعة عن الأسباب التاريخية التي تحفظ لها تواصليتها القومية ، ولقد بلغ بالثقافة العربية الإسلامية الحديثة النّحسّس المفرط لدى الإقبال على توظيف ثقافة الاصطلاح المعرفيّ من حيث بات ينظر فريق من رواد الحداثة العربية إلى مداخلة هذه المعارف بكثير من الحيطة والحذر لا لشيء إلاّ لكون هذا المنهاج العلمي قد استقرت

[27] : ينظر: تزفيطان طودوروف: الشّعرية ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنّشر المغرب ، ص:17

[28] :ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية ، ندوة : اللّغة العربية والوعي القومي ، ط:1 بيروت ،ص:240

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجاربه الأولية من حيّز التّجربة الثقافية الغربية ، وبالرّغم من ثراء مداليل الثقافتين النّحوية والصرفية العربيتين بالنّزوع الاصطلاحي التّطبيقي فقد ظلّ علم المصطلح يشكّل حرجا في الواقع الثقافي العربيّ .

ولنا أن نستيقن حينئذ أنّ الإجراء الاصطلاحي في حيّز تداولية النقد الأدبي العربيّ نستطيع تجدّره وفق المستلزمات البنائية الخاصّة بالصّيغ اللّغوية أو الصرفية التي تنتظم الصيغة اللّغوية الاصطلاحية وهي التي من طبيعتها أن تتأدّى إمّا في شكل مفردة صرفية ذات دلالة علمية أي شبه خالية من الفائدة الدّلالية المجازية وغالبا ما يتأدّى هذا النّموذج الاصطلاحي وفق صيغ وضعية تعتمد قوّة توليد الكلمة الاصطلاحية وغالبا ما تكون مركّزة تنحو وجهة الإلمام بالفائدة النقدية أو الفكرة الفنية والجمالية الغالبة على الموضوع الأدبي المعيّن ، فالدّقة إذا هي المنزع الدّلالي الثابت في تداول المصطلح النقديّ [29].

ويبدو أنّ الدّلالة النقدية الاصطلاحية بحرارة انقذافها من أتون التّجربة الإبداعية لا تملك إلاّ أن تتّشح بكثير من إيقاع الإتباع فتأتي وفق الصيغ المتسارعة الظهور أي تلك التي تطفر ولا تتشكّل والتي تنقذف ولا تتعقّل ، لذلك فالصيغة الاصطلاحية خاصّة فيما يتعلّق بالدّلالات الأدبية ذات الحركية تستمدّ صيغتها الصرفية أو البنائية انطلاقا من الموضوع التي تستنتج منه ، وقد لاحظنا تبعا لثبوت هذه الحقيقة أنّ القيمة الاصطلاحية كلّما خالطت الأجواء الأدبية الأكثر إنشائية وإيقاعية كلّما كانت متفلّتة متنوّعة غير ثابتة على صيغة أو تسمية ما فالمناسبة إذا بين الصيغة النقدية الاصطلاحية وبين

[29] : ينظر ، د. صلاح فضل ، إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنّقل ، مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس المغرب 1988،ص: 70/69/68.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرجعيـة الأدبيـة المنبثقـة عنهـا لا تـدلّ الدّلالـة الآليـة دائمـا بـل هـي تتمـاهى وتتداعي إلى ما يمكن أن يسكن الفكرة الأدبية النّواة أي تلك الفكرة الأدبية التـي ستظلّ تؤشّر على الرؤية الإبداعية المستقبلية .[30]

[30] : ينظر ، د. صلاح فضل ، إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنّقل ، مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس المغرب 1988،ص: 72/71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-معترك التّصوّر الاصطلاحيّ : إشكال الرؤية الاصطلاحية.

1-1- الوجهة الاصطلاحية في نقد الشّعر العربيّ :

يتأدّى سياق الاصطلاح النّقدي ضمن مفاهيم نظرية أو تطبيقية غالبا ما تشكّل مفاهيم فكرية هي روح العصر ، والذي يفتّش في الإجراءات التّداولية الخاصّة بكلّ مرحلة ثقافية أدبية الخاصّة بالأجيال الأدبية أو موجات التّحديث الأدبي يستطيع أن يقف على خلاصات أو تركيزات نقدية هي التي تتأوّج مداليلها النقدية متجلّية في شكل ابنثاقات نظرية تتلخّص في شكل إجراء اصطلاحي قمين بأن يهيمن على الفاعلية النقدية لحقبة أدبية معيّنة ، ومن النّقاد من يستطيع أن يتجاهل الآثار النّظرية والتّطبيقية معا التي خلّفتها مدرسة حداثة الأدب العربيّ المعاصر ، فقد عبئت كوكبة من الرياديين الإبداعيين والنّقاد العرب تحدوهم روح الاستكشاف فطفقوا يلوذون بكل استجداد منصبّة آراؤهم على الكيفيات التي يستطيعون بفضلها تجاوز العجز العربيّ في ميادين الحياة المختلفة ، وقد تحمّل النّقد الأدبي العربيّ خلال تلك المسيرة كثيرا من المواقف الكلامية الحادّة الشّرسة هي التي كان يتبنّاها سبيلا للتّجاوز والمغايرة ، حيث لا يمكن تجاهل ما كان لهذه النّبرة من آثار فعّالة في حركية ابتداع المصطلح النقدي الأدبي بالنّظر إلى ما تساند إليه الموقف الفكري العربيّ المتبنّي لرؤية المخالفة والمغايرة من شجاعة لاقتحام المداخل الفكرية التي ظلّ الفكر العربيّ يرتاب في مزاولة فلسفاتها التّحديثية.

وتعتبر الحاجة الماسّة إلى الجدّة من أهمّ المحقّزات الفنية والموضوعية الداعية إلى استدعاء التفكير الاصطلاحي حيث انتهت كلّ المدارس المدرسية التقليدية إلى الانغلاق والاحتباس والجمود (..فإذا نحن نحسّ أنّها عاجزة عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن تحقّق الغرض من الدّراسة الأدبية بل هي منحرفة بهذا الغرض على نحو ما رأيت من النّقد لها ، وإذا التاريخ الأدبي يجهد في أن يجد له المخرج من الأجواء الحبيسة التي شدّته إليها فلا يعيش في مواضعاتها ولا يخضع لإيحاءاتها)[31] .

وبحسب تأمّلنا لحقائق العوائق التي كانت تعترض سبيل الإبداع النّقدي النّظري الذي من طبيعته أن يظلّ محافظا على الدّور الريادي التّحفيزي لمقدّرات احتمال النّظريات الإبداعية فقد وجد النّقد العربيّ الذي عبئ بمداخلة أوّليات التّحديث الأدبي العربيّ نفسه رهين الرؤية التّحليلية التي لا تكاد تتجاوز معطيات الخطاب أيهكوّناته اللّغوية والفكرية ، ومن ثمّة فقد ترتّب على هذا السّلوك الثقافي التّفكيري طبيعة محافظة ظلّت ترى إلى الحداثة والتّوليد في حيّز التّنظير النقدي من منطلق أكثر تعقّلا لا يستطيع الانتقال من تقاليد النّقد الأدبي العربيّ القديمة إلى شروط التفاعل الإبداعي الجديدة ، ومن ثمّة فقد صار النّص أو الخطاب الأدبي في حاجة ماسّة إلى رؤية نقدية تحرّره من مغالق التجربة النقدية المحافظة، لقد بات لزاما على التّفكير النّقدي أن يتجاوز المقاييس التقييمية المتوارثة في شكلّ تفكير مدرسي لا يستطيع النقد الإبداعي اختراق مكوّناته الفكرية والأخلاقية ، حيث ترسّخت جملة من الاعتبارات في السّلوك الثقافي العربيّ وأوجدت لها نصوصا شبيهة بالالتزام السياسي والاجتماعيّ ربّما تكون النّظم السياسية العربية التقليدية قد صيّرتها مشروع هيمنة فكرية تحافظ بواسطتها على صلاحياتها الحيوية بين فئات الشّعوب

[31]: شكري فيصل ،مناهج الدّراسة الأدبية في الأدب العربيّ ، عرض ونقد واقتراح ،ط:5 ، دار العلم للملايين 1982،ص:68

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية وعلى اختلاف مستويات وعيها الاجتماعي والسياسي ، دون أن يطمح التفكير العربيّ إلى البحث عن اقتراح البديل المغاير لتلك المعطيات التقليدية.

ولنا أن نطمح إلى اعتبار حتّمية ضرورة الانتقال من التفكير النقدي التّقليدي إلى مجالات التفكير النقديّ الأدبي الجديد المتجدّد الذي من شروطه التّفاعل الحقيقي مع مكوّنات الخطاب الأدبي بالرّجوع إلى الأصول الانفعالية الإنسانية التي تشكّل المادّة الفنية لخطاب الإبداع الأدبي ، ولقد أتى في مقدّمة هذا التّحوّل ضرورة الاهتمام بترقية الرؤية المحلية أي الرؤية الإنسانية المحلية التي تركّز على التّجربة الذّاتية الغنائية للإنسان العربيّ" على اعتبار أنّ العالمية لا مجال لبلوغها إلاّ بالتّشبّع بالقيم المحلية ، فالإنسان الفنّان لا شكّ في أنّه متشرّب آثاره الإبداعية انطلاقا ممّا يرتئيه من صفاء الرؤية ووضوح البعد الإنساني الذي تنتظمفي ضوئه كلّ المسوّغات الفنية البانية لجمالية الأدب الإنسانيّ ، وانطلاقا من حقيقة ما يمليه هذا التّفهّم والتّصوّر فإنّ وظيفة المصطلح النقدي أتى في سياق التّجربة النقدية الأدبية العربية إنجاحا لمهمّة تحقيق الأدبية الحقيقية بكلّ ما يتضمّنه هذا التّوجّه من إخلاص ضمنيّ لحقيقة الفنّ والجمال ضمن شروطهما الإنسانية التي لاشكّ في أنّ تجربة الإنسان العربيّ بكلّ تشكّلاته الحياتية والبيئية يشكّل أهمّ دعاماتها العالمية[32] .

[32]:شكري فيصل ، مناهج الدّراسة الأدبية في الأدب العربيّ ،ص: 217/216.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-2مداخلة النقد الأدبيّ العربيّ لفضاء الحداثة:

لعلّ من أبرز ما يتّصل به الإجراء الاصطلاحي هو تعويل هذا الإجراء النقدي العلميّ التّطبيقي على مداخلة الحداثة انطلاقا من تسلّح التفكير النقدّي الأدبي العربيّ بشروط الضّبطين العلمي والمنهاجي للوظيفة النقدية ، وبالتّالي فإنّنا نفهم أنّ كلّ نزوع في تحقيق هذه الوجهة النقدية الأدبية الجديدة لابدّ من أن تترك ثقافة النقد الأدبيّ التقليدية أي بمفهوم الشّرحي التّحليليّ الذي يجاري في صيغه الإجرائية الوظيفة الإنشائية .

ولعلّ من أبرز مقوّمات الدّخول إلى طقس الحداثة الأدبية ومنها النقدية هو تعويل التّفكير النّقدي الأدبي العربيّ على اختصار القضايا والمسائل النقدية في التركيز الاصطلاحي الذي يحاول أن يجمع بين الفلسفة النقدية وبين الإجراء التّطبيقيّ ، وقد كان لزاما على النّاقد الأدبي السالك هذا المسلك أن ينزع نزوعا نقديا أدبيا شبيها بالتّفكير النقدي المدرسي الذي هو بدوره يعوّل على الممارسة النقدية المدرسية التي عادة ما تتأسّس على تبنّي معجم اصطلاحي نقديّ معيّن يفضي بها إلى تبنّي المفاهيم والقضايا الموحّدة، ونجد من الضّروري هنا ان نلجأ إلى ما يشبه إحصاء المحاور النقدية الحداثية التي عكست هذا الاهتمام النقدي الاصطلاحي أوّل الأمر ، ونرى أن لا أقوى من حركة الحداثة الشّعرية في هذا المجال ، فالنّقاد جميعا باتوا يدركون مدى الآثار الإجرائية بل وحتّي الفلسفية التي أفرزتها حركة الشّعر الحرّ أو شعر التّفعيلة بالرّغم من كلّ التناقضات التّطبيقية أو التّنظيرية التي تخبّطت فيها في بعض الأحيان وليس أدلّ على ذلك من تخليطهم في كثير من التّعريفات الاصطلاحية الواقعة في دائرة نقد شعر التّفعيلة ، حيث نرى أن لا بحث في الموضوع أثار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القضايا والمسائل النقدية المتعلّقة بالموضوع من كتاب عزّ الدين إسماعيل الذي هو "الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية" الذي شكّل لفترة طويلة العمود الفقريّ والهاجس الأقوى في تناول الحداثة الأدبية العربية.

ولقد جسّد **عزّ الدين إسماعيل** كثيرا من مقتضيات الرؤية النقدية الأدبية الحداثية التي إن عدلنا في تداولنا ألحقناها في كثير من تجلّياتها بالتّفكير المعاصر أو العصريّ إذا سمحت بذلك التّسمية الاصطلاحية ، وقد فتّش الباحث مرارا وتكرارا عن الأباب الكفيلة بادّعاء مسوّغات تلك الطّروحات المغامرة المشاكسة والتي ظلّت تحدث خلافات حادّة تجلّت في المناورات الفكرية المنجرّة عن ذلك التّماس الفكري بين مدرستين هما مدرسة التقليد ومدرسة التّحديث .وقد ظلّ الباحث خلال كتاب الحداثة والمعاصرة يعوّل على تدوير مصطلحات عامّة اقتضتها مبادئ التّمهيد لطرح إشكال النقد الاصطلاحي حيث حصر تلك الأسباب في ضرورة التّجديد الأدبيّ وخاصّة في حيّز الإبداع الشّعريّ [33].

إنّنا نعتقد جازمين أن لا حداثة يقوى العقل على ضبطها بالآليات والمناهج والتقديرات الوظيفية إلاّ إذا كانت تنطلق المنطلق الصّحيح الصّافي المخلص للهوية الإبداعية في حيّزي الأدب والفنّ معا.

ولعلّ الذي يقبل الحسّ العربيّ التّحاور والتّفاوض معه حين يتعلّق الأمر بالمستجدّات الروحية أو الحضارية هو أن يبني موقفه على قاعدة أن لا إفراط

[33] غالبا ما يعوّل دكتور عزّ الدين إسماعيل على المسوّغ التّجديدي في طرح النّظريات النقدية المؤسّسة على التّجريب الاصطلاحي الطّليعي الرائد من مثل القيم الجديدة ، تجربة الشّعر العربيّ المعاصرينظر ، الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ط:3 ، د ارالعودة بيروت 1981 ،ص:6

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا تفريط ، فالاعتدال والتّوازن هما الوسيلة الوحيدة الأقوم والأسلم التي يستطيع بها كلّ حسّ مداخلة المستحدثات التي يجد نفسه في حاجة ماسة إلى الاستعانة بها في فهم العصر أو الواقع ومنهما فهم الذّات ذاتها.

ومثلما هو واضح من أوليات الكتاب النقدي "الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية"فقد تحرىّ الناقد وضع كثير من التّمهيدات التّوضيحية التي تحدّد الإطار النّظري الذي تتحرّك ضمنه أفكار الكتاب النقدية المستجدّة ، حيث يعترف الناقد بتلك الأزمة التّواصلية بينه وبين القارئ فيقول: (... فقد كان لازما أن أقدّم بين يدي الكتاب تمهيدا أحدّد فيه معنى العصرية التي تعدّ إطارا للشّعر الذي أدرسه ...)[34] ومثلما هو واضح فإنّ النّاقد بالرّغم من المكانة العلمية التي ظلّ يحظى بها بين نقاد جيله إلاّ أنّه يغرق في تقديم المبرّرات التي هي دالّة ضمنيا على شدّة تخوّفه من عدم تقبّل المثقف العربيّ لطروحاته الحداثية ، وبالرّغم من الاعتراف بحقيقة كون كلّ ذات منخرطة في تعاطي نشاط الكتابة والتّفكير النقدي خاصّة منها تلك برزت متصاعدة الأصوات والعلامات في الفترة هذه إلاّ أنّ النّقاد ما فتئوا يتهيّبون مداخلة الطّروحات التي استوجبتها ثقافة الحداثة تبعا لما ظلّوا يعتقدونه من حقيقة تمسّك المثقف العربيّ بعاطفة الاعتزاز بالمقوّمات الثقافية التراثية ، بالنّظر إلى إجداب الواقع الحاضر الذي لم يمنحه سوى الخيبات السياسية والاجتماعية المتتالية باستمرار.

وإذا كان هذا الذي سلف تداوله صادرا عن مبتدئ في حقل التّنظير الحداثي فإنّ النّقاد الأكثر تواصلا مع فلسفة الحداثة ظلّوا يعكسون كثيرا من

[34]: دعزّ الدين إسماعيل ، الشّعر العربيّ المعاصر ، ص:6

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إشكالات الاصطلاح النقديّ سواء أتعلق الأمر بالممارسة النّقدية النّظرية أم بالممارسة النقدية التّطبيقية ، فالأمر سيّان حيث ظلّ الناقد العربيّ الحداثي يحاول صناعة التفكير الحداثي وإن ارتبكت الذّات العربية أمام مقتضيات الرّاهن إلاّ أنّه أي الناقد العربيّ الحداثيّ ظلّ يشكّل ثنائية وظيفية طرفاها المبدع الحداثي والنقد الحداثي الأكثر تشبّعا بالرّؤية المستقبلية للأدبية العربية.

وليس بعيدا عن تلك الأعمال النقدية التّنظيرية الرّائدة نجد ذات الهاجس التّمهيدي الحذر المتخوّف يفترش له ويبسط أكثر من عذر في مداخلة طقوس الحداثة الأدبية ، حيث سادت طبيعة تعريفية قوامها أن يعمد النّاقد إلى تقديم تمهيد نظريّ يعرّج خلاله على التّعريف اللّغوي المؤطّر للمسعى التّنظيري فيقول: (تعود 'الحداثة' لغويا إلى الجذر الثّلاثي :ح ،د، ث وحدث الشّيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه أمّا معنويا فحدث الشّيء أي وقع وحصل وأحدث الشّيء أي أوجده ، والحديث أي إيجاد شيء لم يكن والحديث أوالمحدث هو الجديد من الأشياء)[35] .

ويبدو هذا المسعى النقدي التّنظيري المرتاب في مداخلة موضوع الحداثة الأدبية العربية يحشد أكثر من مسوّغ في ريادة الموضوع ، وليس غريبا أن نصادفه يعود إلى المعاجم اللّغوية التراثية أو بالأحرى التقليدية ترسيخا للمذهب وتأصيلا للمذهب داخل الحداثة ذاتها ، من ذلك إلمامه بمعجم ألفاظ القرآن الكريم، ومجامع اللّغة والعربية التي نراها في كثير من المناسبات تقوم مقام المشرّع للفكر الأدبي العربيّ الحداثي خاصّة في سلوكه الثقافي الاصطلاحي ،

[35]:د. خليل أبو جهجه ، الحداثة الشّعرية العربية بين الإبداع والتّنظير والنّقد دار الفكر اللّبناني ،ص:15

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومثلما هو باد لنا فإنّ الأزمة لم تكن أزمة التسمية الاصطلاحية بقدر ما كانت أزمة للذّات العربية المثقفة أي تلك التي كان الزّعماء السياسيون العرب يعوّلون عليها كثيرا في تحقيق مشاريع الثقافة القومية العربية الحديثة.

وبالنّزول إلى أرضية واقع النقد الأدبيّ العربيّ الحداثي وفكّا لكثير من مظاهر الإشكال التّنظيري الذي ظلّ يخيّم على الرؤية النقدية الرعبية الحديثة فقد صادفنا كلّ مدخل ثقافة الحداثة لا يغادر القضايا التّمهيدية في أوّل كلّ إجراء تنظيريّ إلا بعد بسط كثير من الأسباب والمسوّغات الداعية إلى ريادة الحداثة الأدبية العربية ، لأنّ الناقد العربيّ بات يعلم علم اليقين بأنّ ثمّة تباينا طافحا بين واقع المجتمع العربيّ وبين طموحات الأدية العربية المؤسّسة على التّخطّي والتّجاوز لأنّ السرّ كلّ السرّ كان ينبني في لعبة التّخطّي التي من وظيفتها غير المعلنة الافلات من قبضة حقيقة الواقع العربيّ الملموس الذي لا يحتوي على أيّة رؤية إنتاجية تبشّر بتحرير الطّاقة العربية أمام تحدّيات ثقافة العولمة التي حشدت كلّ الآليات والأدوات لإرباك المبدع العربيّ ، بعدما أغرته بكثير من المفاهيم الفلسفية تحت اصطلاح العالمية أو الإنسانية لذلك فقد ظلّ مصطلح الحداثة (...مصطلحا نافذ الاستعمال على المستوى الأدبي شعرا ونثرا شريطة أن يتماثل هذا المصطلح مع الجدّة من حيث للسّمات والدّلالات زمنيا وفنيا وقوميا)[36] .

ولا سبيل إلى قراءة الإجراءات التّمهيدية والتّوضيحية الغالبة على مقدّمات الدراسات النقدية التي أسّست لحداثة الأدبية العربية إلا في ضوء

[36]:د. خليل أبو جهجه ، الحداثة الشّعرية العربية بين الإبداع والتّنظير والنّقد دار الفكر اللّبناني ، ص:17

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كونها كانت تأتي بمثابة الإطار التّبريري الذي يفاوض المتلقي ويؤهّله لأنّ يكون فيمستوى التّلقي الجديد الذي قد يضطرّ إلى الاستعانة بالمقدّرات الفكرية والفلسفية والنّقدية التي لم تنتجها أرض الواقع العربيّ الرّاهن ، ولنا أن نتأمّل كيف تبين لنا تلك المبرّرات التّمهيدية مدى وخامة الاغتراب الدّلالي الذي كان يتخبّط فيه الخطاب الأدبي العربيّ الحداثي أو حتّى المعاصر ، وقد كان النّقد الاصطلاحي يعمد بكلّ جلاء لأن يملأ تلك الهوّة بالمقدّرات التقريبية التي يبذلها في صياغة المقولات النقدية المعزّزة لصورة الخطاب الحداثي أو المعاصر .

وقد يعتبر من البديهي لدى المتشبّعين بالنّظريات الأدبية والفلسفية التي تعمل على تفسير الجذور التّكوينية للنّظريات النقدية بأنّ ثمّة فارقا بيّنا بين الخطاب الأدبي العربيّ وبين مكوّنات حركية الواقع العربيّ الاجتماعي والسياسي وربّما جاء الاصطلاح النقدي مستشعرا بعض ذلك التّفاوت في الرؤية والطّرح ، فقد ظلاّ الحيّزان يتجاوران سلئرين متوازيين لا تماسّ بينهما إلاّ فيما يفرضه تغليب الواقع السياسي المصطنع اصطناعا لإرضاء هيمنة وجهة فكرية عقيدية معيّنة ، وبالمناسبة فقد أوجدت حساسية الموقف المحاول بسط التّوازن التّبريري بين الماضي والحاضر أو الذّاكرة والواقع حاجة ماسّة في استقراء التّراث الأدبي العربيّ قراءة تفهّمية تحاول بسط المبرّرات الأصولية وهو ضرب من التّخليط الذي لا يخفى على الباحث إشكاله ، وقد وجد الناقد العربيّ نفسه مضطرا للخوض في مسائل تتجاوز واقعه العياني من مثل القراءة التّجديدية الحداثية للمقولات النقدية العربية التراثية التي توسّم فيها القارئ بصيصا من أمل الرؤية المستقبلية المستوعبة لحركية ألإبداع الأدبي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفنّي معا ، ومن ثمّة فقد طرحت كثير من مسائل الصّراع بين الأجيال الأدبية والصّراع بين العقل والحسّ أو بين التقليد والتّجديد ولكن هذه المرّة بصورة أكثر توازنا باعتبار أن كلّ الذين خاضوا في هذا السياق ظلّوا يبحثون عن ضروب من المهادنة بين القديم والمحدث أي سياقة المقاربة ، وآليات الوئام بين الذّاكرة والوعي[37].

لقد انصبّت جهود نقدية ثقافية عربية كثيرة معتبرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين على إثراء كثير من المنطلقات النقدية التّأسيسية في حقل الدراسات النقدية العربية بالمناهج والنظريات وقد انصبّت في أغلبها على تفهّم بنية الخطاب الشّعريّ عن طريق محاولة إعادة بعث المكوّنات النفسية والبيئية والفلسفية التي ظلّت الشّعرية العربية تحتفظ بمميّزاتها الانفعالية التي تدلّ على مدى عراقةهذا الفنّ ، فنّ الشّعر في الأعراف الثقافية والروحية للأمّة العربية الإسلامية .

ولقد اصطدمت تلك التّعويلات النّظرية القوية الفورة والحماس بإشكال حضور المصطلح النقدي من حيث البحث عن مدى انسجامه مع المتطلّبات التّحليلية والقرائية التي من مهامّها الحفاظ على الخصوصية الروحية التي هي ذاتها روح الإيقاع الانتظامي للحضارة منهجا وتنظيرا[38] ولا بدّ من الاعتراف الصّريح بأن لا مناص من تفادي إشكال الاصطدام بشروط النقلة والمغايرة

[37]: خليل أبو جهجه ، الحداثة الشّعرية العربية بين الإبداع والتّنظير والنّقد دار الفكر اللّبناني ، ص:28

[38]: يرجع في هذا إلى المراجع التي درست المناهج النقدية الأدبية وهي كثيرة في النّشاط النّقدي الحديث والمعاصر.ومنها : د. شكري محمد عياد : المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين عالم المعرفة ،الكويت سبتمبر 1993 ، ع177 وكذا : جان لوي كابانس النقد الأدبي والعلوم الإنسانية تر: فهد عكام دار الفكر دمشق 1982.وكذا كثير من الدّوريات النقدية الأدبية المتخصّصة في حقل الدّراسات الاصطلاحية ومنها مجلّة علامات مارس 2002.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باعتبارها محاولة للملاءمة بين الأصيل والدّخيل حيث اصطدمت تلك الإجراءات عند وصولها إلى حيّز الفكير العربيّ بسؤال النقل بضرورة الإصابة والتّقدير المنهجي والمعرفي على كلّ أبعاده لتوظيف مصطلحات التّحديث أو العصرنة والعثور لها على التسميات العربية الملائمة لمقدّراتها الثقافية والمنهجية وهما الشّرطان اللذان سيلازمان كلّ مبادرة لمداخلة الوظيفة النقدية الاصطلاحية وهو المناط الذي سنعبأ بتذليل قضاياه وأبعاده خلال بحث إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر.

لقد كان لكتاب **جيرار جينيت** "مدخل لجامع النّص" كثير من التّأثيرات الحاسمة التي اختطّت لها سبيلا بين المقترحات العصرية في سبيل إحقاق الأدبية العرية اللاّئقة بالقرن العشرين وما بعده ، والذي يهضم لبّ موضوع كتاب **جيرار جينيت**يلمس عن قرب مدى توجّه هذا التّأليف توجّها بالغا في إصابة الثقافات النقدية الإنسانية العالمية الأخرى ، وبالرّغم من اتّضاح جهل نقّاد الغرب بالمعطيات الثقافية والنقدية لمجمل شعوب العالم إلاّ أنّهم كانوا يخطّطون لفرض الهيمنة الإعلامية والثقافية الكفيلة بتدجين الكفاءات الحضارية لدى تلك الشعوب كافّة ، وهنا يجدر بنا التّنبيه إلى كون الحداثة هي الصّوت الثقافي العالمي الأوّل الذي استثمر لدى النقاد الغربيين على كونه استراتيجية عولمية بكلّ معاني وأشراط العولمة التي تترسّخ اليوم وتقوى في ميادين الصناعة والاقتصاد والثقافة، حيث يتلخّص كلّ هذا الغرض في ما يقدّر بالإسناد المغالط.[39]

[39] ينظر ، جيرار جينيت ، مدخل لجامع النّصّ ،تر:عبد الرحمن أيّوب ، ط:2 دار طوبقال الدّار البيضاء 1986 ، ص:77/78/79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يدرس أسرار الكتاب المذكور لـ**جيرار جينيت** يستطيع أن يقف في خاتمته على تلك القائمة المطوّلة لمعجم المصطلحات النقدية التي تركت آثارها واضحة على مضامين الكتاب ، فالمتعارف عليه أنّ هذا النّمط من الكتابة النقدية سعت دائما إلى توظيف الثقافة النقدية الاصطلاحية وهو ما أوجد له الفاعلية البالغة بين المثقفين العرب وخاصّة نقّاد مدرسة الحداثة حيث عمل هذا الفكر الحداثي المتحفّز لاستقبال كلّ المقدّرات التفكيرية على تسويق البضاعة والترويج لها قبل الاهتمام بالثقافات النقدية المحلية بالرّغم من أنّهم أي النقاد العرب المغلوبين على أمرهم كانوا يقدّرون الأبعاد الإبداعية التي كانت الذّات العربية تصدر عنها ، وقد جاء الاعتراف على لسان **جيرار جينيت** في الشّهادة التالية (..وليكن وأقترح أن يكون مصطلح جامع النّسج آخر ما أقترحه من مصطلحات)[40].

وقد تلا هذا الاعتراف سلسلة من التّوليدات الاصطلاحية أهمّها :التّعالي النّصيّ ، أو النّظير النّصيّ ، وهي صياغة اصطلاحية توصيفية كفيلة بأن تغالط متّبعها أو مقلّدها ، على اعتبار كونها ما تزال رهن التّجريب والمعاينة ، وقد كان كلّ هذا يربك النّقاد العرب ويضعهم المواضع المحرجة ، من حيث دأبوا على الولاء الأعمى للثقافة الغربية لا يرعوون بشيء إن كان ذلك المستورد يخدم التّغريب والإغراب وجرّ الفكر العربيّ إلى الطّلاسم ، وربّما كانت نتيجة هذا الذي نذكره هنا وخيمة على الأجيال الثقافية العربية الطّرية ، حيث وجدت في استقبالها ثقافة نقدية أدبية لا تستبين غاية البيان ولا تتّضح

[40]:جيرار جينيت ، مدخل لجامع النّصّ ،تر:عبد الرحمن أيّوب ، ط:2 دار طوبقال الدّار البيضاء 1986 ، ص:91

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غاية الوضوح فحدث أثر ذلك كلّه جملة من الإنقطاعات والخلخلات ربّما يصعب على الدّارس العربيّ اليوم أن يجد سبيلا إلى تفهّم ما تتخبّط فيه هذه الأجيال من المغالق والأزمات والإشكالات التي يعتبر الإشكال في الاصطلاح النقدي أحد أهمّ أبرز وجوهها بامتياز.

والمبدع الذي يرهن نفسه لمجاذبة الأبعاد التّحديثية يجد نفسه محاطا بكثير من التّداعيات التي تشكّل لديه تحدّيا بالغ المعطيات ، فالأديب العربيّ مثل غيره من الأدباء الإنسانيين يعرف إن هو لامس حدود المغايرة وداخل أجواء المغامرة الساعية إلى تحقيق فلسفة التّجديد والتّحديث ، تصدمه كثير من المتغيرات التي تطرح إشكال التّحوّل بكلّ عنف وتحدّ ، ومن ذلك درجة قياس الثابت والمتحوّل في الوظيفة اللّغوية ، لذلك فقد شكّل هاجس التّحديث اللّغوي لدى العربيّ كثيرا من الرهانات وقد وجد نفسه محكوما بكثير من أخلاقيات الموضوع النقدي هذا فاللّغة الأدبية في حيّز الاعتبارات الإبداعية العربية متّصلة بكثير من الوظائف الأخلاقية والدينية والقومية لا سبيل إلى إلغاء ضغوطاتها التي يرفعها المجتمع العربيّ الإسلامي فوق كلّ الاعتبارات الفكرية الأخرى ، وفي هذا المضمار فإنّنا نرى من اللازم علينا أن نعرّج على ذكر الحساسيات والتّحدّيات التي طرحها التّفكير النقدي الأدونيسي فقد كان لمصطلح التّجاوز[41] الذي طرحه أثره في الثقافة النقدية العربية.

ولم يكن في وسع **أدونيس** بحسب النّهج الذي تبنّاه والغاية التي ارتسمها أن يتحفّظ في طلب مصطلح نظرية التّجاوز فقد استغلّ النّشاط الدّلالي والفكري

[41] ينظر ، أدونيس علي أحمد سعيد ، مقدّمة للشّعر العربيّ ،ط:3دار العودة بيروت 1979 ص:42/43/44/107/108/109.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي أثمرمدلول الرؤيا التي تعني المتصوّر الفكري ليبادر إلى طرح مشروع المغايرة النّقدية المرفقة بكثير من المجازفات في إنتاج الخطاب أو النّص الحداثي المشاكس.

ولكي يستوثق **أدونيس** من جدوى هذا التّوجّه النقدي المقوّى بالإجراء الاصطلاحي المغامر فقد تبنى منذ البداية منهاجا تنظيريا مفتوحا على الاحتمال فلا يقين إلاّ ما يفرزه واقع الخطاب ، ولقد قامت المدرسة النقدية اللّبنانية بكل ما تتحلّى به من الامتيازات اللّيبيرالية بتسويق كلّ النّظريات النقدية المندرجة في سياق هذاالتّوجّه المحفوف بكثير من الاعتراضات والمزالق والمخاوف ، وربّما نفهم من **أدونيس** أنّه كان ينطلق من تلاش كلّي في الموروث الأدبي العربي التّراثي وكيف لا يكون كذلك وقد بات يعلم علم اليقين بأنّ المدرسة الأدبية العربية المحافظة تتحصّن بكلّ المقوّمات التراثية صدّا منها لكلّ دخيل لا يجد ما يتقوى به إزاء العاطفة القومية التي تسكن كلّ ذات عربية .

1-3-القيمة التّوثيقية للمصطلح النقديّ :

لا يستطيع باحثتعمّق أوليات النّزوع الاصطلاحي في النقد العربيّ المعاصر أن ينكر أو يتجاهل تلك الغاية الخفية الواضحة التي تبنّاها النقد العربيّ الحداثي في أوليات نزوعه التقعيدي للظّواهر الأدبية والظّواهر النقدية معا فقد ، سعت كثير من الجهود المبادرة إلى توثيق الظّواهر الأدبية والنقدية معا لدى أوّل احتفال معرفيّ بها وقد اجتمعت تلك الملاحظات الأولية آنذاك على تسمية الاصطلاحات النقدية العاملة على بلورة المساعي الإبداعية التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كادت تنصبّ على تحرير الكتابة الشّعرية أي نقل القصيدة من الشّعر العمودي إلى شعر التّفعيلة ، وذلك ما أنتج زخما معرفيا اصطلاحيا تجلّى في كثير من التّسميات أهمها الصورة الشّعرية ، موسيقى الشّعر والإيقاع ، والسّطر الشّعري والموسيقى الداخلية والموسيقى الخارجية ، والتّشكيل ، والجملة الشّعرية والنّفس الشّعري والدّفقة الشّعورية [42] .

ولم يكن من الموضوعي والمنطقي أن يمر هذا الاحتفال بالكتابة الشّعرية الحداثية دون أن يترك بصمات واضحة على الحقل الدّلالي النقدي المتّصل بابتداع الاصطلاح النقدي الذي سعى في جميع مراحله من أجل مواكبة المعطيات الأدبية والنقدية الجديدة ، لذلك فقد ألفينا كثيرا من الباحثين لا يجاوزون هذا المناط من ثقافة الأدب العربيّ المعاصر دون أن يفردوا لذلك الاهتمام جملة من المواضيع البحثية المتعلّقة بسبل الكشف عن هذا الاجتهاد الجديد ، والمسعى الفريد بل لعلّه لم يغال "عزّ الدين إسماعيل" حين أسمى المصطلح النقديّ المفتاح الذّهبي الصّغير حين تعرّض لموضوع الاصطلاح في ثقافة التجربة الشّعرية العربية الجديدة حيث أفضى بهم هذا الاهتمام إلى توليد معجمية خاصّة هي المصطلح الشّعريّ [43].

وربّما كان عزّ الدين إسماعيل يتحرّى إصابة معنى آخر هو غير الذي يتناوله بحث المصطلح النقدي الحداثي ، فقد ذهب ضمنيا إلى أن يعني بذلك الكلمات اللغوية المحورية التي اعتمدتها لغة الشّعر الحرّ الذي يسمّى كذلك شعر التفعيلة ، فبالرّغم من عنونة الباحث لهذا الموضوع بصيغة : المصطلح

[42]: ينظر ، دعزّ الدين إسماعيل ، الشّعر العربيّ المعاصر ... ،ص: 43/ 142
[43]: ينظر ، دعزّ الدين إسماعيل ، الشّعر العربيّ المعاصر ، ص: 173

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجديد وظاهرة الغموض إلاّ أنّه كان يعني به المعجم الفنّي الذي هو أساس التّجربة الشّعرية الطّرية التي برزت حديثا إلى الوجود الثقافي العربيّ المعاصر.

وأمام زخم توالي حلول ثقافة الدخيلاللّغويّ بعد أن ترتّب على جملة من الصّلات والعلاقات الثقافية الإنسانية المسيطرة على الساحة الأدبية وخاّصة منها الاشتراك في الثقافة النقدية الحديثة والمعاصرة فيما بين آداب الأمم المختلفة المشارب الحضارية وقد أتى ذلك التّوجّه استكمالا للتّواصل المعرفي العربيّ الشّبيه بالعولميّ استيعابا للمفاهيم والمصطلحات الجاري بها التّعامل والتّفاهم في الثقافة الأدبية العالمية المعاصرة من منطلق المتطلبات الانسانية والحاجة الملحة إلى تفهّم أبعادها النظرية والتّطبيقية مع استيعاب التسمية الجديدة النابعة من طبيعة المسمى الجديد الحالّ طارئا على الثقافة النقدية العربية المعاصرة والحديثة[44] ، وقد تساندت جلّ هذه الجهود التّكوينية الحاملة على عاتقها مسؤولية بلورة الرؤية الفلسفية والأدبية العربية الحديثة حتّى لاءم ذلك السعي للكشف المفهومي المتولّد (الذي يقيم للمعرفة النّوعية سياجها المنطقي بحيث يغدو الجهاز المصطلحي لكلّ ضرب من العلوم صورة مطابقة لبنية قياساته ...)[45].

ووفاقا لهذا التّصوّر يرتدّ الإجراء الاصطلاحي في تصوّرنا بمثابة اللّغة الموحّدة التي يمكن للمعارف الإنسانية أن تتوحّد ضمن سيرورتها التّفكيرية ،

[44]:يحتاج النّصّ الإبداعي الحداثي إلى كثير من فعاليات الإجراء الاصطلاحي الذي يقوى على انتظام الأطر التفكيرية العربية الحديثة ، ينظر: مجلة الفكر تونس ، جانفي 1970 ،ص:56

[45]: د.عبد السّلام المسدي المصطلح النقدي ، ط ، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد اللهّ للنشر والتّوزيع تونس 1994،ص: 10

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكيف لا يكون ذلك مشروعا وافر المتقبّل وقد غدت الأمم أكثر اقترابا بعضها من بعض بفضل الثّورات الإعلامية والمعرفية الصّناعية التي باتت تعزّز بوادر التقارب العرفي فيما بينها.

وقد أتى كلّ هذا إحساسا من النّقاد والمفكّرين العرب بفداحة النقص والتّقهقر ، وفي غياب المواكبة المجمعية اللغوية الموحدة والمقنعة ، عول النقاد على جهودهم الفردية وطفق كل واحد يجتهد في النقل والترجمة والتسمية وعلى فهمه (الذي قد يصيب وقد لا يصيب) للدال الأصلي في لغته الفرنسية أو الانجليزية أو غيرها وعلى مدى مهارته في نحت اللفظ البديل واهتدائه إلى المقابل الكفيل.

وبلغ التعدد بالنظريات والتنظيرات النقدية والقرائية حدا صارت معه "المدرسة" "مدارس" بعدد أعلامها وأقطابها تنشطر وفق القناعات النّظرية التي تتماهى إليها الفكرة الأدبية التي انبثق عنها توليد المصطلح أوّل مرّة ،ومع أنّنا مدركون غاية الإدراك لاتّصال كثير من أسباب ابتداع التّسمية الاصطلاحية بما طفرت عنه أوّل مرّة في شكل فكرة بسيطة أوّلية ساذجة تبعا للإرهاصات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تمنح التسمية الاصطلاحية أبعادها الخصوصية فإنّنا نقدّر أبعاد الخطورة والمغامرة التي ينبني عليها استنبات المصطلح النقدي في بيئة هي أغرب عن أن تتلاءم مع خصوصية تربته الثقافية فالتّعارض بين مختلف الحضارات الأدبية فيما بين الأمم مايزال يعمل عمله سواء أكان ذلك في المدى القريب أم البعيد ، ولقد ابتثقت جلّ المدارس الأدبية والنقدية الغربية عما يشبه التّجمّعات الثقافية التي كانت تتبنّى بيانات سياسية معّينة منها "جماعة براج" أو "فريق براق" أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"مدرسة الشكلانيين الرّوس" حيث كانت كلّ واحدة من هذه التجمّعات تتبنّى وجهة فلسفية وجمالية مخالفة للتّجمّعات الأخرى، غير أنّ الذي يفتّش في تراث الحضارات الأدبية الإنسانية لا يكاد يخفى عليه مدى تلاؤم المفاهيم والأفكار خاصّة حينما يتعلّق الأمر بالمذاهب الفنية والفكرية التي تشكّل إجماعا إنسانيا لا سبيل لتجاوز حقائقه الانفعالية التي تكاد تتوحّد حولها معظم اللّغات الإنسانية ، واستيفاء لسياق هذا المفهوم الكوني العالمي الإنسانيّ فقد لاحظنا لدى مطالعة الآثار العربية النقدية التراثية خاصّة منها تلك التي امتازت بالمعرفة الفنية والجمالية الرائدة مثلما هي لدى عبد القاهر الجرجاني أنّها في كثير من غاياتها التفهّمية الاصطلاحية تشاكل علم الاصطلاح النقدي الحديث ، فقد تضايق **عبد القاهر الجرجاني** بتحامي النقاد لمفهوم للشّعر رآه ساذجا غفلا عن كلّ استيعاب لحقيقة فنّ الشّعر فانبرى يصعّد الشّعرية من الشّعر البارد إلى مفهوم الشّعر الشّاعر أي ذلك الشّعر الذي يسمو على الغايات الاصطلاحية التقليدية [46] وجملة الأمر لديه أنّ (... صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتّى يكون هناك اتّساع ومجاز...)[47] ، وأحرى بالصيغة الإصطلاحية إن هي ضاق عنها مجالها الدّلالي العلمي الموضوعي بمعنى العلمية الأدبية المطاوعة لحقيقة تنامي الأفكار والدّلالات وتناسقها.

[46]: ينظر ، دلائل الإعجاز ، ص: 236
[47]: المصدر نفسه ،ص: 204

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4-1- مصطلح العصرنة :

يبدو بديهيا أنّ الوعي الحضاري الذي تشبّع به الإنسان العربيّ أثرا مباشرا في جملة التّنبيهات والتّحفّزات التي صارت تدغدغ أحاسيسه ومشاعره وسط حضارة ملأ فيها التّكامل الإعلامي واستفاضته التّوصيلية كلّ أرجاء المعمورة ، حيث أدّى هذا الوعي الحضاري إلى زيادة التقريب فيما بين بني البشرية أو الإنسانية ، ولذلك فإنّ الحسّ العربيّ بالرّغم ممّا كان يتخبّط فيه من الأزمات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فقد ظلّ يرتّب آليات الوعي الإنساني الجديدة ، فلم يعد بمعزل عن هواجس الإنسان الآخر ، بل صار يشاركه في كثير من المؤتمرات والملتقيات والنّشاطات الإعلامية ، ولا يخفى على المتفكّر ما كان في استطاعة هذه المعطيات الإعلامية الطّارئة من قوة التّأثير ، وسعة التّنبيه التي عملت جميعها على إيقاظ الحسّ المعرفي والإبداعي لدى الإنسان العربيّ ، من حيث صار في إمكانه التّواصل الروحي والعقلي والسياسي بكلّ البيئات الإنسانية على وجه المعمورة ، وقد أهّل هذا التّوق والطّموح الأديب العربيّ لأنّ يطمح عاليا إلى بلوغ المراتب الفكرية والإبداعية ذاتها التي يتمتّع بها الأديب الآخر ، ولدى سعي الأديب العربيّ لامتلاك الإمكانات الجديدة وجد نفسه محاطا بكثير من النّقائص التي تعترض سبيل تحوّله في الوجهة الجديدة ، لذلك فقد ساد بين النّقاد العرب نزوع عولمي أكثر ما تجلّت بوادره في استدعاء المقولات والشّهادات الإبداعية والفكرية والنقدية لكتاب عالميين وطفق كلّ متعاط لعلم النقد الحداثي المعوّل على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرّصيد الاصطلاحي يغرف من التراث العالمي القديم والحديث والمعاصر لا يمنعه مانع في ادّعاء كلّ فكرة يراهاحكمته الضّالّة[48].

ولا يخفى على الدارسمدى ارتباط الصّيغة الاصطلاحية بنشاط الدّلالة الأدبية التي أوجدته فهي من هذا الاعتبار سوف تظلّ تفعّل تلك الطّاقة الدّلالية الكامنة خلاف المصطلح العلمي التقني الذي يبقى الحفاظ على سكونه وجموده ومحدوديته الدّلالية سمة من سمات نجاحه العلميّ لذلك فإنّ هذا التفاعل الدّلالي السافر عن القيم الإبداعية الراسخة في كمونة المصطلح قد يظهر في شكل نشاط إنشائي ، فتكون لتلك الإنشائية المتجلية في شكل انفعال لغوي شبيه بالانفعال اللّغوي الذي يتلبّسه ابنثاق القصيدة الشّعرية ذاتها (إحدى ترجمات Poétique) على إنشائية جاكبسون ، وإنشائية تودوروف وباختين ...الخ ، لعلّ لا حاجة لنا في أن نقرّ بأنّ مصداقية الناقد تعتبر المسوّغ الإعلامي الأوّل الذي يسطّر قوّة هيمنة القيمة النقدية التي سيتمتّع بها الإجراء التّطبيقي لاحقا ، وتوزع البنيوية (إحدى ترجمات Structuralisme) على بنيوية بارط وبنيوية جينات وبنيوية غولدمان...ومن الواضح جدّا أنّ الأعلام الوارد ذكرها في السياق التّاريخي لمساعي ترسيخ علم الاصطلاح النقدي يبدو قائما معتمدا على ثلة من العلماء الواردين من جهة الثقافة الترجمية هم : ياكبسون ، وتودوروف وباختين ، حيث ظلّت هذه الأسماء تشكّل المبدأ والغاية التي لا فكاك عنها ، وقد نستطيع القول أنّ ثمّة جملة من النقاد الغربيين ظلّوا يحافظون على نفس الصيت المعرفي الذي ظلّ يتمتّع به المستشرقون إلى فترة غير قصيرة في

[48]: يعمد د.عزّالدين إسماعيل إلى توظيف منطلقات حداثة الشّعر الغربيّ باعتبارها مقوّمات إنسانية عالمية ليست تحدّها حدود ، ينظر ، الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره المعنوية ،ص: 11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثقافة العربية الحديثة ، فلقد وجد روّاد النقد العربيّ الحديث ضربا من الثقة و الاستئناس بأسماء بعينها لا تكاد تتخلّف عن معظم المناسبات الثقافية الحاسمة ، حيث صادف وأن تلقى هؤلاء النقاد موجة من القناعات في فلسفة التّحوّل الفنّي والجمالي حملها رعيل من المبدعين شعراء ونثّارا عربا هم الذين ظلّوا يحافظون على مصداقية التّواجد الغربيّ في الثقافة النقدية العربية المعاصرة والحديثة ، تجاوبا مع الميولات العولمية والانسانية التي صارت تشكّل التوجّه الغالب الحاسم في القناعات الثقافية العربية المتطوّرة التي تحاول أن تثبت حسن نيتها في مداخلة المشاريع الثقافية الإنسانية ربحا لتعاطف المنظّمات العالمية معها وكسبا لودّها السياسي والفكريّ معا .

ومع كلّ الذي تداولناه في موضوع نظرية انبثاق الفكرة الاصطلاحية وتوزين الصيغة الاصطلاحية فإنّ النّزوع الاصطلاحي يبدو في إحدى تجلّياته النقدية ضربا من محاولة لجم التفاعل الأدبي للفكرة المصطلح عليها ، حيث يرسّخ الاصطلاح ضربا واحدا من تلك الصور الدّلالية التي تتماهى إليها الفكرة عندما كانت في حيّز التفكير الأدبي الإبداعيّ ، ثمّ ما تنفكّ تلك الصيغة الاصطلاحية شبه المجمّدة متّصلة في تعالق عنقودي بكلّ ما تفضي إليه من الوظائف والغايات الفكرية والمعنوية خاصّة أثناء تمثيل الإجراءات التّطبيقية الواقعة في نطاق دلالة المصطلح النقدي ، ولو تدبّرنا سياق هذا التّداول لموضوع القيمة الاصطلاحية ومدى اتّصالها بالوازعين الإنشائي من جهة والوازع العلمي من جهة أخرى لألفينا انحراف النقاد بالدّلالة الأدبية لمفهوم الصّورة منتقلا من غاياته الوظيفية التي غالبا ما تتكاثر في الخطاب الشّعري لتستقرّ في محاولة لتقنين مدلولاتها الاصطلاحية ضمن تصوّر تقني انبرى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النّقاد يقولون فيه ويعيدون ، لأنّ ثمّة اضطرابا وتفاوتا في تفهّم الاعتبارات النقدية المتّصلة بمصطلح الصورة فثمّة الصورة الشّعرية والصّورة الأدبية والصورة التّشكيلية ، وهي في مجملها متوزّعة بين الاعتبارين ، الاعتبار الماديّ والاعتبار المعنوي ، لأنّ النّاس دأبوا على استعمال هذه التّسمية يقصدون بها المرئيات لا المتصوّرات في الذّهن والخيال ، حيث يكون الإشكال واردا من جهة بلوغ العقل المتبيّن أو المتفهّم لكيفيات انتقال الدّلالة من حيّزها الماديّ المرئي إلى حيّزها الفكري التّخييلي لأنّ الأمر مترتّب فهمه على جملة الفوائد المجتناة من التعامل مع فكرةالصّورة ، لأنّ ثمّة رؤية ورؤيا ، والواصل بينهما مجرّد التّخمين والاعتبار لأنّ الصورة في اعتقاد بعض النّقاد ليست سوى (... منهج فوق المنطق لبيان حقائق الأشياء...)[49] .

وأوقعت النقول الفردية التي واجه بها النقاد العرب هجوم المدارس النقدية الحديثة وترسانتها الاصطلاحية في إخلالات جمة كان من نتائجها فقدان المعرفة المنقولة لنجاعتها الإجرائية وهي تدخل فضاء اللغة العربية وتعذر النفع على جمهور التلقي العربي.

والذي رشح المساعي التعريبية لمزيد التشرذم هو اختلافها باختلاف اللغات التي يأخذ منها النقاد (فرنسية، انجليزية...) وباختلاف مواقعهم من الحداثة والقدامة ، ومواقفهم اللغوية والفكرية ومستوياتهم المعرفية، فالآخذ من الفرنسية يستخدم الرومنطيقية والرومانتية والرومنتيزم ، والآخذ من الأنجليزية يؤثر "الرومنسية"، وقد تجري على أديم النص الواحد هذه الصيغ جميعها ، فضلا عن تعايشها تحت سقف الجامعة الواحدة في البلد الواحد.

[49]: د.مصطفى ناصف ، الصّورة الأدبية دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، ص:8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأفضى التشتت المصطلحي بالناقد العربي ، وهو يخشى على نصه سوء الفهم، إلى تذييله بجدول في المصطلحات التي استخدمها[50] ، يضم أصولها الأجنبية ونقولها العربية ، وذلك لعلمه أن غيره قد يذهب مذاهب تعريبية أخرى، وأن المسألة خلافية بقدر ما هي اجتهادية . ولا تكاد تخلو رسالة أو أطروحة جامعية دائرة على نظرية الأدب ونقد الشعر ودراسة النص من فهرس، بين فهارسها، بالمصطلحات المنقولة، حتى يتسنى للمشرف على رسالة البحث الأدبي العلميّ واللجنة اختبار المترشح ومساءلته في نقله أولا وحتى لا تتعسر القراءة على القارئ بعد نشر العمل ثانيا ، وكثيرا ما يحرص الناقد أو الدارس على "تفسير" النسخة العربية بإحضار الأصل الفرنسي أو الانجليزي ووضعه قبالتها بين قوسين كي يشير إلى كونه يعرض ترجمة شخصية أو يتبنى واحدة من الترجمات المتداولة في غياب المرجع الموحد كأن تراه يشفع للشعرية بـ Poétique والتماثل بـ équivalence والانزياح بـ écart وقصيدة النثر بـ poème en prose ...الخ وهي ظاهرة لا يكاد يخلو منها نص نقدي عربي وقد ينوء الدارس ، أمام كثرة الترجمات، بينها جميعا وكأنه يريح نفسه من عناء التورط في ترجمة واحدة، ويوفر لها ضمانة التلقي المطلوب . وتلقى Poétique في الساحة النقدية الشعرية العربية عشر ترجمات على الأقل هي : الشعرية والإنشائية والشاعرية وعلم الأدب والفن الإبداعي وفن النظم وفن الشعر ونظرية الشعر وبويطيقا وبويتيك[51] . كما تلقى écart

[50]: لقدأسهمت الثقافة النقدية العربية الترجمية في إثراء حقل النّقد الاصطلاحي بالقدر الذي ظلّ مسيطرا على كثير من النّظريات التّطبيقية ، خاصة فيما يتعلّق بالتّناصّ ، والشّعرية والإيقاع ، والصّورة الأدبية ، أو الصّورة الشّعرية.

[51]:حسن ناظم ، مفاهيم الشّعرية ، المركز الثقافي العربيّ ، الدار البيضاء المغرب ، ص:18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصير التعريبي نفسه فقد فتن النقد الأدبي والدرس الجامعي وهما يستقبلان هذا المصطلح بـ "الانزياح" مقابلا له ، ثم كان "الانحراف" و"التجاوز" و"الخطأ" و"الكسر" و"الانتهاك" و"الشذوذ" و"الجنون"[52] . ثم بدا كما لو استقر على "العدول" الذي عثر عليه عند القدماء كابن حزم، وحازم القرطاجني ، بل وجدنا الناقد الواحد يستخدم عددا من هذه التسميات وكأنه يسعى دون طائل إلى محاصرة المفهوم الكامن في الأصل [53]، ويلقى مصطلح intertextualité اختلافا مشابها في التسمية العربية فمن تناص وتناصية[54] إلى بينصية[55] وبين نص ونصية. ويثير المصطلح signe بدوره أكثر من خلاف في نقله حيث عثرنا له على أربع ترجمات متداولة هي : دليل، وعلامة، وإشارة ، وسمة[56] ولا يستقر نقله الـ métalangage التي منها la fonction métalinguistique وهي إحدى وظائف الإبلاغ الست التي حددها جاكبسون ، فقد استخدموا مقابل ذلك "اللغة الواصفة" و"اللغة الشارحة" و"الميتالغة" و"الميتالسان" و"الماورالسان"...الخ. ولئن كان بعض هذه المصطلحات شاملا لعموم نقد المصنوعات الكلامية فإنه جرى على ألسنة نقاد الشعر واللغة الشعرية.

ويمتد الخلاف إلى الدوال المذهبية الأدبية والنقدية فيشمل أسماء المدارس والمناهج وفي هذا الإطار وجدنا لـ classicisme وromantisme أكثر من صيغة تسموية، وجدنا لـ structuralisme ترجمتين متعايشتين هما الهيكلة

[52] ينظر ، تامر سلّوم ، الانزياح الدّلالي الشّعريّ ، مجلّة علامات مارس 1996 ،ص:90
[53] يستعمل بعض النّقاد مصطلحات الانحراف والعدول والتّبعيد ، ينظر المرجع المذكور ،ص:108
[54] ينظر ، التّناصية ، محمد خير البقاعي ، مجلّة علامات ، مارس 1996 ،ص: 129
[55] ينظر ،د. عبد العزيز حمودة المرايا المحدّبة ،ص: 361
[56] ينظر ، مجلّة عالم الفكر ، مارس 1996 ، مقال السيميولوجيا والأدب ،ص: 207

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبنيوية وإن رجحت كفة الثانية مع الزمن[57] بعد رجحان كفة الأولى إبان دخول المصطلح[58] فضلا على ثالثة ورابعة قليلتي التداول هما بنائية وهيكلانية ولا توجد ترجمة واحدة في المعجم النقدي الأدبي، والشعري منه خاصة، لأي تسمية مذهبية أو منهجية غريبة دخلت بمفردها فضاء الثقافة العربية.

وتصحب هذه الفوضى الترجمية لمفردات الحقل النقدي الشعري إخلالات عديدة من شأنها أن تزيد الوضع سوءا ، مردها إلى قصور في تدقيق معنى المفردة المنقولة وإيجاد المقابل العربي أو تعذر إيجاده على الاجتهاد الفردي، بناء على كون المعجم مسألة حضارية والمصطلح نتاج بيئة ثقافية وسياق تاريخي لا يمكن عزله عنهما إلا تعسفا واغتصابا ولم تغب مآزق المشهد النقدي العربي في النصف الثاني من القرن العشرين عن عديد النقاد والدارسين سواء داخل الفضاءات الأكاديمية والجامعية أو خارجها وقد أشار هؤلاء إلى سلبيتين طبعتا عموم استقبال العرب للحداثة النقدية :

- أولاها التعامل الشكلي ، وبالتالي السطحي ، مع المناهج الوافدة، جراء انبهار في النظر وتعجل في النقل وقصور في الاستيعاب بما أدى أحيانا كثيرة إلى آلية في التطبيق وببغاوية في علاقة بالمقولات.

ولئن تفاوت تقصير النقاد هاهنا بتفاوت اجتهادهم وعلمهم فإنه نقل النص الشعري الذي لم يضق بلبوس المناهج النقدية الغربية (من البنيوية إلى

[57]:ينظر ، تامر الغزّي ، القراءة الأسلوبية بين الإنشائية والهيكلة ، مجلّة علامات سبتمبر 1999 ،ص:335

[58]:عبد السّلام المسدّي ، قضية البنيوية ، مراجعة : خالد وغلاني ، مجلّة علامات جويلية 1996 ،ص:240

3: ينظر ، كتاب الطّليعة التونسية ، مجلة ثقافة ، ع: 8 صيف 1972

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التفكيك على الأقل!) وهي تطبق عليه تطبيقا وتطبق على روحه إطباقا[59] بعد فوات أوانها عند صناعها وتخليهم عنها إلى غيرها أحيانا ، فيستغلق ويستحيل طلسما أو يفتقر حتى لا يعدو البنية الشكلية وشبكة الدوال أو يقول ما لا يقول سواء بمستوى معانيه الأول أو معانيه الثواني.

- والثانية النقل غير الدقيق والموحد لمفردات الجهاز المصطلحي النقدي، بناء على أن "كل وجهة نظر نقدية في دراسة الأدب لا تتوفر على جهاز مفاهيم دقيق ودال ستكون فرضياتها ضعيفة وينعكس ذلك أيضا على مستوى النتائج"[60] ومن هنا وقع الانتباه إلى الإخلالات العالقة بذلك النقل، والتي شملت مستوى أول هو الدال وتمثلت في "إعطاء مقابلات عديدة ، مختلفة غالبا، لمفهوم غربي واحد... مما يفقد المصطلح قيمته الإجرائية ويؤثر سلبا على دوره التواصلي الهام في المعارف وتطويرها (14) وشملت مستوى ثانيا هو المدلول "بإعطاء مفاهيم عديدة ومختلفة لنفس الدال الواحد... وذلك يفقد المصطلح حمولته الدلالية الموضوعية المرتبطة بمرجعية معرفية محددة واحدة..."[61].
- أما ثالثة الإخلالات فحاصلة على مستوى الدال والمدلول معا، ويعد أخطر مظاهر اضطراب المصطلح النقدي لكونه يجمع بين مساوئ

[59]: حميد لحميداني ، دراسة الأدب في الجامعة ، مجلّة علامات سبتمبر 2001 ،ص:196
[60]: عبد العالي بوطيب ، إشكالية المصطلح في النّقد الروائي العربيّ ، قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الإنسانية (أعمال ندوة مكناس المغرب 2000 ص:173
[61]:عبد العالي بوطيب ، إشكالية المصطلح في النّقد الروائي العربيّ ، قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الإنسانية (أعمال ندوة مكناس المغرب 2000 ،ص:174

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاضطرابين السابقين.. بإعطائه دوال ومداليل مختلفة عما هو سائد ومعروف عن هذه المصطلحات في مرجعياتها الغربية الأصلية" [62] .

إنّ خضوع المصطلح لذات طبيعة التّصوّر الأدبي لحظة ابتداع الخطاب الإمتاعي أن شّعر الشاعر والنّثر الفنّي الجمالي هو الذي ما يزال يشحن المصطلح النقدي بتلك الانفلاتات الدّلالية التي ستظلّ ترفض التّبوتق ضمن المفاهيم العلمية الجاقة.

ويقف بعض هؤلاء النّقد المقرّين ضمنيا بمعايشة هذه الظّاهرة وإقرارها مثل العاجزين أمام ظاهرة النقول أو التحويلات العربية ضمن الثقافة الأدبية والنقدية للترجمتين المختلفتين للمصطلح النقدي الغربي الواحد ،فالنّاقد العربيّ سوف يبقى معزولا عن كثير من الزّخم الدّلالي المنتج للتّصور العلمي الغربيّ حيث نقرّ ضمنيا بتوافر أسباب معلنة أو خفية هي التي سوف تبقى المفعّل للثقافة الاصطلاحية ، فيقنع الناقد بالمصطلح عند الحاجة مضطرا بعرض ما أمكنه من الخيارات المتداولة كأن يقول في موضوع السيمياء "السيميائية أو السيمائية أو السيميولوجيا أو السيميوطيقا[63] أو علم الإشارة أو علم العلامات أو علم الأدلة... ترجمات وتعريبات تطول لعلم واحد..."[64] ويشير إلى كون هذه ظاهرة عامة في النقد العربي الحديث، في كل ما يأخذ عن الآخر من

---

[62]: المرجع نفسه ، ص: 174.

[63]:لقد توسّع النّقاد العرب خاصدّة الحداثيين منهم في مداخلة مفهوم السيميائية من مثل الغذّامي وعبد العزيزحمّودة وعبد الملك مرتاض فكانت معظم ملاحظاتهم تنساق وراء التذقيق في الأصل اللّغوي لمصطلح السيمياء مقاربين ماهو مستقرّ في الأعراف اللّسانية العربية ممّا سامّ هذا العلم.السيميائية السيمائية السميولوجية علم السّمة ، وقد يكون لتقارب الألسنة اللّغوية الإنسانية من اللّغة السامية صلة مباشرة بتحامي اللّغات للتّشاكل في تسمية هذا الفنّ من علم الدّلالة اللّغوية.

[64]: بسامقطّوس ، سيميائية العنوان عمّان الأردن ،ص: 2002

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصطلحات" أو كان يشفع مصطلح "اللغة الشارحة" بالأصل métalangage ويعزز ذلك بخيار ثالث هو "الميتالغة"[65] . وينطلق بعضهم من اختلاف الواقع العربي عن واقع العالم الغربي الذي أفرز الحداثة ليلخص إلى أن "نقل الحداثة الغربية المعرفية الجديدة، والمصطلح النقدي الذي تولد عنها ، إلى واقعنا العربي ضرب من العبث في الدرجة الأولى[66] فلا غرو أن "يجيء هذا المصطلح غربيا ويبقى غربيا ويذهب غربيا"[67] .

والحق أن أزمة المصطلح لا تخص أبناء الثقافة العربية في ما يستوردونه من إنتاج القريحة الغربية بل تشمل حتى أبناء هذه القريحة الذين ترتفع أصوات بعضهم منادية بتوحيد المصطلح النقدي (مثال الجدل الذي أثاره مصطلحا sémiotique وsémiologie) لكن حجم المشكل عندهم محدود مقارنة بحجمه عند من أخذ عنهم، وأمر التسمية يظل متاحا لمنتجي أشياء العالم عصيا على مستهلكيها ، و"الذي ينشئ هو الذي يسمي ويسم المسمى بميسمه"[68] ، وتظل القضية قضية حضارية أولا وآخرا . ولعل قول القائل بأن "الأزمة ليست أزمة مصطلح بل أزمة واقعين ثقافيين وحضارتين مختلفتين [69] وأزمة فكر بالدرجة الأولى[70] وأن "ليس هناك خوف وإنما إحساس بأزمة حضارية وانجراف في اتجاه معين..." أن يكون قد لامس هذه الحقيقة ولو هو لم يتعمقها ويقف عند أبعادها الكلية.

---

[65]: عبد العزيز حمّود ة، المرايا المحدّبة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب اتلكويت ،1998 ، ص:354

[66]: نفسه ،ص:38/37

[67]: نفسه ،ص:37

[68]: عبّاس الصوري ، بين التّعريب والتّوحيد قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الإنسانية ،ص:99

[69]: المرايا المحدّبة ،ص:33

[70]: المرايا المحدّبة ،ص: 34

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فما من شك عندنا في كون الحل الجذري يكمن في تصحيح الميزان الحضاري واحتلال موقع المنتج والفاعل وهو ما يعني مصداقية الانبعاث وامتلاك شجاعة الانطباع حيث يقوى النّاقد العربيّ المتشبّع بالقيم الحضارية العربية الحديثة أن يتجاوز عقدة التّفكير من خارج معطياته الواقعية البيئية منها والاجتماعية ، وبالتالي ترك موقع المستهلك والتابع والعالة . وحينئذ فحسب يتسنى لأهل العربية وهم يصنعون أشياءهم وينجبونها أن يطلقوا عليها الأسماء التي يريدونها كما سبق أن صنعوا وسموا وأخذ عنهم.

ويحتاج تحقيق هذه المنزلة إلى استفاقة تاريخية ونقلة حضارية تنهض على توحيد الشتات وتجميع القدرات وإطلاق الطاقات، وفي انتظار أن تستحيل هذه الضرورة واقعا يجدر إيجاد السبل العاجلة الكفيلة بترميم الكائن وتخفيف وطأة الفوضى المصطلحية الراهنة بين الأقطار العربية والعمل على إصلاح حال الترجمات ومنها ما يخص الشعر، مجال بحثنا.

وقد يعترض معترض بالقول إن المجامع اللغوية تشتغل والندوات تعقد وجمعيات المعجمية تنشط وكذا مؤسسات الترجمة والتعريب، وليس في الإمكان أفضل مما كان. اعتراض لا يخلو، مأخوذا على عواهنه ، من وجاهة لكن تدبر العلل الكامنة وراء عدم فاعلية مثل هذه الحلول والعزوف عن تنسيق الجهود وضم بعضها إلى بعض في مواجهة قضية كقضية المصطلح النقدي يظل مطلبا ملحا.

واعتقادنا أن نشاط الهيئات والأطر التقليدية التي تجتمع دوريا أو بمناسبة، لن يجدي نفعا طالما لم يجتذب نحوه معشر الميدانيين نقادا ودارسين ومدرسين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأهل كفاءة وتخصص، ولم يشركهم في مناقشة الملف وطرح المسائل والبحث عن البدائل ثم طالما لم تنهض الإرادات السياسية بما عليها.

إن برلمانا معجميا عربيا يعنى بمعالجة الواقع المصطلحي ويسعى إلى توحيد نقل مفرداته وإنهاء حالة التشرذم والتشتت والفوضى من شأنه أن يوفر حلا ظرفيا بديلا ولعله يشكل خطوة على طريق الصحوة المنشودة.

وقد يقوى الوازع الإبداعي يوما ما على لمّ شتات الحسّ الحضاري العربيّ ومن ثمّة تنتقل آثار ذلك التّلاؤم والتّناغم لتصنع لها المنهاج والحكمة البالغة في كلّ المؤدّيات التفكيرية التي تضع النّقد الأدبي العربيّ في مساره الناجع الوظيفي، حيث يظهر التفكير النقدي الأدبي المدرسي الذي نراه الأكثر تناسبا وتلاؤما مع خصائص الإجراء النقدي الإصطلاحي ، لأنّ من شأن التفرّق أو التّشتّت الذي يسكن الضّمير العربيّ أن تمتزجّ آثاره الإجرائية لتشمل جميع النشاطات الروحية التي يعدّ الإبداعان الأدبي والنقدي أحد أهمّ نتاجاتها الواقعية.

و"الحق أن الدعوة إلى التوحيد متأتية من الإحساس بالفوضى في وضع المصطلحات التي أدت إلى تعدد المصطلحات وتداخلها وتناقضها أحيانا لكن توحيد المصطلحات ليس من الحلول السحرية التي تجعلنا ندخل رحاب العلم من أبوابه الواسعة[71] ثم دون المسعى التوحيدي ما تزال قائمة عوائق النزعة الفردية والقطرية بما أدى إلى غزارة في اقتراح المصطلحات لكن متعددة مضطربة متعارضة "فكل مدرسة نقدية مثلا تحمل خلفها ترسانة من

[71]:عبد المحسن بدر ، مشكلة المنهج في النقد العربيّ المعاصر ، مجلة فصول ، ع:3 أفريل 1981 ،ص:24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصطلحات (ترجمة أعمال الشكلانيين الروس مثلا) وعلى قدر فهم الناقد يترجم ويقترح ما يراه من المصطلحات مع زملائه في نفس الخندق وقد يتجاهلهم وقد يكون في غيبة عما ينتجون" [72] .

ولم تغب ضرورة الاستنجاد بأهل الاختصاص في "تدبير أمور المصطلح عند بعض أهل النظر على أساس أن التدبير ليس شأنا تقنيا يتكفل به مترجمون متمرسون يجيدون اللغات بل هو شأن معرفي بتكفل به المختصون في شتى فروع المعرفة"[73] وأن "المصطلح فعل حضاري في المقام الأول"[74] لذا ارتأينا فكرة البرلمان المعجمي العربي الذي تعنى إحدى لجانه الكبرى بالمصطلح النقدي الأدبي عامة والشعري خاصة، وتضم الفاعلين في الحقل نقادا ودارسين ومدرسين فضلا عن المعجميين واللغويين.

وما عسانا أن نقول بعد تدوير الكلام وتسييره في اتّجاه ثبت آليات التّداول الاصطلاحي في حيّز اعتبارات النقدية العربية خاصّة منها تلك المتعلّقة بالحداثة وإشكالات التّحديث ، فالمتمعّن لحقل الدّلالة الاصطلاحية يستطيع أن يتوقع الأبعاد الإجماعية أو التفكير المدرسي الذي يصبو إليه الإجراء الاصطلاحي سواء أتعلّق الأمر بالوجهة النظرية منه أم بالوجهة التّطبيقية ، غير أنّ ساحة النقد الأدبي العربيّ تبعا لما اعتور مسالكها من الإشكالات والمضايق والأزمات ما تزال توظّف المصطلح النّقدي من الوجهة أو الفهم

[72]:عبّاس الصّوري ، بين التّعريب والتّوحيد قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الإنسانية أعمال ندروة مكناس المغرب 2000 ،ص:107

[73]:سعيد بنكراد ، المصطلح السيميائي ، الأساس المعرفيّ والبعد التّطبيقي قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الانسانية ، م.س ،ص: 175

[74]:سعيد بنكراد ، المصطلح السيميائي ، الأساس المعرفيّ والبعد التّطبيقي قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الانسانية ، م.س ص:169

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذّاتي الذي لا يحرّر الرؤية النقدية الموضوعية بقدر ما يعزّز إشكالات الهيمنة الغنائية ، ولذلك فإنّنا نصبو خلال هذا البحث النقدي المقارب لهذا الحقل المعرفي المحفوظ بالملاحظات والتّحفّظات إلى اشتراط حضور مكثّف فعّال للمجامع اللّغوية والعلمية العربية من أجل أن تصبغ وجهة البحث الاصطلاحي بالمقدّراتالعلمية والمنهاجية اللاّزمة لضبط سيرورة هذا التّوجّه النقديّ ، وإنّ كلّ تخلّف عن إدراك هذا المرام سوف يبقي الوظيفة النقدية رهينة التّخبّطات والمشاكل التي تسلب الوظيفة النقدية طموحاتها العلمية والإبداعية ، وهذا لا سبيل إلى تحقيقه إلاّ بميلاد وحدة التفكير العلمي العربيّ إذا كانت إبداعات الأمة العربية حقيقة تصدر عن تلك الطّاقة الإبداعية المتكاملة الموحّدة في الإجراء والمساعي والطّموحات.

1-5- حقول الاستعمال النقدي التطبيقية:

لقد وضعت فلسفة الحداثة الأدباء العرب وبجانبهم النقاد في وضعية حرجة فيقدر ما عملت هي أي الحداثة على استدراجهم لقول ما لم يقل في حيّز البحث النقدي العربيّ القديم ، فقد ظلّوا هم أي الأدباء العرب والنقاد مسكونين بهاجس المغايرة يحملهم كلّ طارئ على اقتراح المسمّيات الاصطلاحية التي تجهد نفسها باذلة كلّ قوى التّصوّر والتفكير من أجل احتلال المواقع التفهّمية المستجيبة لشروط الحداثة والعصرنة ، وبناء على استفحال هاجس المغايرة وتطلّبه بكلّ وسيلة أدبية أو نقدية فقد وجد الناقد العربيّ الحداثيّ نفسه مضطرا لتبنّي المقولات النقدية المغامرة التي ستحتفظ خلالها بفضل شدّة فورة اندفاعها التنظيري كلّ ما يمكن اللّجوء إليه من أجل السيطرة على هذا المؤدّى غير المضمون العواقب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يكون من الأرجح جدّا أنّ النّزوع إلى تجريب المثاقفة سير الثقافة العربية نحو تبنّي نتاجات الأمم الإنسانية الأخرى أو تأثّرها على الأقل وهو الوازع الحاسم الذي يمكننا ترتيبه أمام الأثر الترجمي فيما يخصّ حقل النقد الأدبي الاصطلاحي (..إنطلاقا من التّنوّع الذي يخلق الفاعلية ...)[75]، فبمجرّد حصول التفاعلات الثقافية الأولى انبرى جمع من المستشرقين يستوعب لسان الشّعوب المغلوبة وقد صار ذلك التّماسّ لاحقا طبيعة تثاقفية تمتّعت بجدوى بالغة الأهمية هي التي كان لها النّصيب غير القليل في تنشيط حقل النقد الأدبي الاصطلاحي الذي عليه مدار البحث .

وبالرّغم من أنّ النقاد العرب الحداثيين ظلّوا متفاوتي المواقف والفلسفات التحديثية فقد اجتمعوا على مزية واحدة تجمعهم تكاد تكون متمثّلة في تبنّي موقف مغايرة التراث النّقدي العربيّ القديم ، لذلك فإنّ من المغالطة بمكان أن يعتقد الدّارس أنّ كلّ نظر منهم إلى الوراء يقتضي تبنيّ المواقف المعنية من تلك الالتفاتة التراثية وإنّما كانوا جميعا نقادا وأدباء يهرعون إلى الإلمام بالتّراث من أجل بذل كلّ الجهود القرائية التي يمكن اعتمادها في مداخلة الرؤية النقدية الحداثية ، ومن ثمّة ، وبناء على هذا الواقع الثقافي الذي سيظلّ يحضر بكثافة وغزارة ، سوف يتمحّلون المواقف الدّاعمة لمذاهبهم الناقضة للأصول التراثية وربّما كان منطلقهم المفضّل هو كسر المصطلحات النقدية البلاغية وتصييرها قابلة لمداخلة المصطلحات النقدية الترجمية من مثل تلك التي صار لها رواج كبير بين الأدباء والنقاد العرب الحداثيين ، لذلك ألفينا

[75] عزّ الدّين المناصرة ، المثاقفة والنقد المقارن ، منظور إشكاليّ ط1 ، المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر 1996، ص37

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصطفى ناصف وهو أحد الحداثيين المتعقّلين الذين لم يداخلوا التفكير النقدي الحداثي بالمغالاة والمقاطعة للتراث يتبنّى سياقا تفكيريا ينطلق من تفكيك البنية الاصطلاحية التراثية فيما يتعلّق بالبلاغة العربية وقد أفضى به الاعتدال إلى ملامسة الغايات التنظيرية الواقعة في هذا السياق بجملة من المقولات النّقدية النظرية والتّطبيقية التي تحتشد باعتبارها ثراء ثقافيا نقديا عربيا حداثيا فيقول بصريح العبارة (الفتنة بالتّشبيهفتنة قديمة تلخّص المنهج العربيّ المحافظ ...)[76]وربّما لم يعادل ناقد عربيّ الناقد مصطفي ناصف في طبيعة اضطلاعه بإبراز اللّهجة الانتقادية الواضحة لموروث النقد الأدبي العربيّ القديم فقد ظلّ في كلّ مناسبة يكيل الملاحظات التي تحتشد جاهدة من أجل تأسيس فلسفة النّقض التي ستغدو لا حقا بمثابة المبرّر الموضوعي لتبنّي فلسفة المغايرة .

ولقد لاحظنا الناقد مصطفى ناصف يستجمع كلّ ما اوتي من قوى البرهان والتّفهيم والتبرير العاملة على تسويغ الفعل الثقافي النقدي الذي يحاول أن يتموقع بديلا عن القناعات النقدية العربية التراثية خاصّة منها تلك التي ظلّت تشكّل جوهر التفكير العربي الإسلامي أي تلك التي ظلّت طيلة العصور الأدبية العربية تصنع بلاغة الدّرس البلاغي القرآني ، وقد ظلّ مصطفى ناصف على مرّ تجاربه التّأسيسية الرامية إلى بلورة نقد عربي حداثي أكثر تعقّلا يبحث عن آليات الانتقال منالدّرس البلاغي العربيّ القديم إلى رصد ما يمكن أن يتطّلبه مشروع الانتقال إلى الدّرس النقدي التّطبيقي أي الاصطلاحي ، وقد استفرغ كثيرا من طاقاته التفكيرية في محاولة إعادة تأسيس كثير من النّظريات النقدية العربية خاصّة فيما يتعلّق بالقراءة الحداثية للمصطلح البلاغي

[76]: د. مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، ص:46

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربيّ وبالتّحديد في موضوع الاستعارة ، وقد ارتأى أنّ القدماء كانوا دائما يؤسّسون لمنظورهم البلاغي بإظهار العاطفة القومية أو الدينية التي يراها غير ناجعة في حقل الدّراسات العلمية التي هي أهمّ ركيزة يقوم عليها منظور النقد الأدبي المعاصر[77] .

وقد عمل الناقد على صياغة هذا الاحتقان بعزاء موقف التراثيين بقوله: (لقد التزموا إنتاج أدباء في ظروف زمنية خاصّة ورتّبوا ما شاءوا من حكم عليه)[78] ، وعلى أمكن تقدير , وأعدل نظر، فإنّنا أبصرنا بـ**مصطفى ناصف** يداخل التراث مثله مثل **أدونيس** جامعا بين الكفاءة الاستيعابية البالغة وبين النية الواضحة في التّأسيس لنظرية المغايرة إلاّ أنّ الفارق التّكويني بين الرّجلين سيظلّ يتفاوت فيحدّيهما في التّعصّب أو التّعقل أو التّحفّظ كلاهما يرمي إلى مقدّرات تفكيرية ، ستتماهى رؤية مصطفى ناصف ذائبة بين النّظريات النقدية المتعقّلة بوسطيتها فهي لا تكاد تميّز من المغالاة وأمّا وجهة **أدونيس** فستظلّ مستفردة بغرابة مسعاها لا تجد من يحتضنها على الأقل في الدّرس الأدبي أو البلاغي العربيّ الرّسمي أي المدرسيّ .

والنقد الأدبي العربيّ في تعويله على حقل الدراسات البلاغية خاصة تلك المتعلّقة بدراسة آليات تركيب لغة الشّعر ليس بدعا ولا هو يأتي غفلا ساذجا بل سيجد له المتفكّر كثيرا من علامات العالمية أو العولمة إذا صحّ التّعبير بين كثير من منطلقات التفكير النقدي العالمي الحديثة ، فقد سعى فرانسوا مورو في كتاب "الصّورة الأدبية" الذي توسّمناه مقاربا لذات الوجهة والطّرح النقدي

[77]: د. مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، ص:47
[78]: مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ،ص:ن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي عوّل عليه مصطفى ناصف في كتاب الصّورة الأدبية على الأقل من جهة التّطابق في المذهب الاصطلاحي بين المؤلّفين ، فقد عمد فرانسوا مورو إلى إعطاء المكانة البالغة لمداخلة موضوع الصورة الأدبية من خلال التمهيد ببذل الأسباب والأعذار والمسوّغات القاضية بتبنّي مصطلح الصورة الأدبية ، فكان أن تتبّع سياق النشاط الدّلالي لهذا المصطلح النقدي الذي سيظلّ مصطلحا محوريا ذا أهمية بالغة في الدّرس النقدي التّطبيقي في الأدبية العربية الحديثة ، وقد أبان فرانسوا مورو عن أنّ حقيقة التسمية الاصطلاحية للصورة الأدبية ليست سوى محاولة للقبض على إحساس يصعب أسره أو التقاطه أو القبض عليه ، وقد كان gaston bachelard قد اهتمّ بهذا المنزع النقدي حين قال: (... تمنح الاستعارة جسدا ماديا لإحساس يصعب التعبير عنه...)[79] ، والذي هو ملاحظ لدى متتبّع خصوصيات تطور الموضوع النقدي المحوري الحسّاس مثلما هو الشّأن في موضوع قياس طبيعة الانتقال من حيز الاستعمالات النقدية البلاغية إلى حيّز الاستعمالات الحداثية للإجراءات النقدية التّطبيقية يستطيع أن يتبيّنّ بأنّ البوّابة لدى النقّاد العرب الحداثيين كانت تعوّل كثيرا على مداخلة هذا الحقل المعرفي انطلاقا من تهيئة علم الاصطلاح النقديّ ، فقد ظلّ النّاقد الأدبي الحداثي يجد في جدّة المصطلح النقدي الحداثي الوسيلة الغالبة والدّعاية المروّجة لثقافة النقد الحداثيّ ، إلى درجة صار معها المصطلح يعمل عملا إبهاريا تعجيبيا لا سبيل إلى إخفاء غوايته على المتلقيّ ، ويستطيع الباحث المتفرّغ لمتابعة هذا المنحى المخلص لمكاشفة أسرار لعبة الاصطلاح النقدي الحداثي أن يقف كثيرا على مواطن الإشارات النّظرية التي تجتهد من أجل بذل

[79] غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ص: 49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلّ أسباب التّبرير والإرضاء للقارئ العربيّ الجديد ، فقد صادفنا بعض النّقاد يقول:(... وابتغاء تحديد الرّمز ينبغي علينا أن نبدأ بمفهومات يسيرة ساذجة ننظر فيها لننفيها ونصعد إلى الدّلالة الحقة ، في وهمنا ، لهذا المصطلح الذي تتكاثف من حوله اختلافات واستعمالات متباينة ...)[80] ، ومثلما هو متّضح بيّن فإنّ معظم النقاد ظلّوا يجرون أحاجيهم النقدية الحداثية في مرمى دائرة هم يعترفون بأنّها ضيّقة حرجة ، أي أنّهم ما كانوا ليستوثقوا بعرى الاستقبال أو التّلقي في الجهة الأخرى لقد ظلّ الناقد العربيّ لا يستأنس بالقارئ ومن ثمّة فقد أحسّ كلاهما بتفكّك عرى التواصل المعرفي والثقافي الصّحيح باعتبار الثقافة العربية الحداثية كلّها مشروعا خاضعاالأخذ والردّ ، فالنّاقد العربيّ مهما أوتي براعة النّظر أو التّطبيق فإنّه لا يقوى أن يمضي طليقا حرّا غير مرتبك في تفكيره أو تصوّره لمسائل التّطبيق النقدي التي ظلّت تحضر بإلحاح في حيّز الإبداع الأدبي العربيّ الجديد.

ومثلما يبدو للمتمعّن في سيرورة النقد العربيّ المعاصر ، فقد جهد أعلامه البارزون في بلورة المنطلق الحضاريّ عن طريق حشد مكوّنات التّحديث والعصرنة ، وبالموازاة مع ذلك المسار فقد سعى النقد العربيّ الحديث أو الحداثي أو المعاصر إلى اعتماد صوت نقد النّقد ونبرته ولهجته ، باعتباره السبيل الوحيدة لـتأسيس المقولات النقدية المغايرة التي تتشبّع بشجاعة اقتراح البديل الاصطلاحي ، ويكون من البديهي أن يسعى نقد النقد المعاصر إلى جمع الأدوات والآليات اللاّئقة بذلك التّوجّه أي تلك التي تعتمد سبيلا لبثّ وترسيخ مقوّمات الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر ، وهو الفكر الذي كان لزاما عليه أن

[80]: د. مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، ص:152

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يغترف من معين الفلسفة الإنسانية المعاصرة أي تلك التي تنادي بتحرير الإنسان ثقافة وسياسة واقتصادا بمعنى تفريغه من كلّ الالتزامات الحياتية القاهرة التي رآها المفكّرون على أنّها تقف أبدا حجر عثرة أمام تطوّر الفكر وتحرير الإحساس وتشجيع الانفعال الحرّ بقيم الحياة العربية المعاصرة .

وسيكون من الموضوعي جدّا القول ضرورة بحقيقة ما انبثق عنه سياق تحديث النقدي العربيّ فقد وجد الناقد العربيّ نفسه ملزما بالتزام المواقف الريادية التي قد تدفعه في كثير من الأحيان إلى تبني المواقف الحاسمة من أجل بلورة حقيقة ذلكالتّوجّه ، وربّما وجد الناقد العربيّ نفسه منساقا وراء تبنّي بعض الطّروحات الفكرية والفلسفية الحداثية التي تتعارض مع تقديس الأصول العربية أو تلك التي قد يضطرّ متبنّيها إلى التفريط في الآليات اللّغوية والأدبية التي ظلّت إلى فترة طويلة من تاريخ الأدبية العربية تشكّل العمود الفقري لسياق الأدبية العربية من مثل تعارض الحداثة مع مقوّمات القصيدة العربية من مثل الوزن والقافية وبعض الأدوات البنائية التي تدخل في تقنيات التّعبير العربيّ الأصيل نحوا وصرفا وبلاغة وأسلوبا ، ولقد وجد الناقد العربيّ المشتّت بين الأصل والبديل نفسه لاهثا وراء استقصاء الحقول الدّلالية الواسعة التي تشكّل المعجمية الأدبية العربية التراثية ، لأنّه قد بات ملزما بإيجاد الكلّ الثقافي المتكامل الذي ينبني على شروط أدائية بالغة الاعتبار فالحداثة من شروطها ألاّ تقبل التّعايش البيني أو الانتصافي فهي إمّا أن تحضر كلية أو تغيب جميعا (وإذا كان كلّ خطاب يقوم على اللّغة التي تدفعه ليكتسب هذه الصّفة أو تلك ، فإنّ خطاب نقد النّقد يتميّز بلغته الاصطلاحية التي يعتمد عليها ، أو ما يعرف بالمصطلح ، ولعلّ ما يميّز العلوم بعضها عن بعض هو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختلاف مصطلحاتها ودقّتها ، وبتخصيص المصطلح ودقّته تستطيع المعرفة أن تتحدّد وتتمكّن من التّطوّر بصورة سريعة وبشكل فعّال ، والمصطلح بهذا المعنى علامة دالّة محدّدة لحقل معرفيّ معيّن أو قل : إنّه يسم الخطاب ويعلّمه)[81]

ونستطيع بعد معاينة أهمّ المقولات النقدية التـأسيسية الناهضة على دعامة فورة الثورة التّحديثية في النقد العربيّ المعاصر أن نقول: لقد بات الفارق العملي بين النقد الأدبي العربيّ القديم وبين بديله الحداثي مسألة تتوزّع بين النّظري والتّطبيق ، فقد يلاحظ المستقرئ لمعطيات المسألة أنّ النقد العربيّ القديم كان يفتقر إلى المنهاج الآلي التّطبيقي الذي يشخّص الظّاهرة النقدية ويمحّصها للمتلقي ، وربّما ليس هناك من تعليل لتوخّيهم هذا الترتيب الوظيفي سوى كوننا اليوم نختلف عن القدماء من حيث المستوى المعرفي من حيث قرب اللّغة أوبعدها عن الحسّ والوعي.

ولتجذّر التّدابير النقدية الحداثية خاصّة منها تلك التي قامت من أجل التّأسيس للثقافة النقدية الأدبية العربية الحداثية أو حتّى الأدبية العربية المعاصرة التي تعتبر من أبرد النّزوعات التّحديثية إذا ما قورنت مع فورة حسّ الحداثة ، فقد ترسّخ لدينا الآن اعتبار محور قائم على مدى غزارة التّوجّهات الساعية إلى الإحاطة بتلك الرؤية وعلى سبيل المثال فقد طفق نقاد عرب كثيرون ومتميّزون يعيدون النّظر في المفاهيم الشّعرية العربية من منطلق تحديثي ، وقد يتساءل قارئ عن لماذا كانت تلك الرعاية والأولوية لحقل

[81]:أحمد أبو حسن ، مدخل إلى علم المصطلح ، المصطلح ونقد النقد العربيّ الحديث ، مجلّة الفكر العربيّ المعاصر ، ع: 61/60 ،ص: 84

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعرفة الشّعرية قبل غيرها من الحقول الدّراسية النقدية الأخرى ، غير أنّ الإجابة عن هذا التّساؤل تبدو لنا واضحة بيّنة فالأمر كذلك لأنّ الحسّ العربيّ يتمركز ضمن سياق اهتمام أدبي متميّز هو النّشاط الشّعريّ ، وقد كانت الثقافة العربية الإسلامية منذ القديم كذلك وما تزال دائبة على ذات القناعات البلاغية ، والعرب وإن اهتموا حداثيا بالكتابات النثرية فإنّهم ما فتئوا يجيبون بطريقة غير صريحة واضحة عن تلك المرجعية الشّعرية التي شهدنا بأنّها الغاية التي لا تغيب والمنزع الذي لا ينطمس على مرّ الأجيال الأدبية والعصور الحضرية ، ويكفينا دليلا على هذا الذي رأيناه أنّ الشّعر اليوم في الثقافة الأدبية العربية الحداثية صار يطغى على كلّ قراءة نقدية ولا شيء غير ذلك فالشّعرية هاجس ثقافي نقدي وفلسفي يهيمن هيمنة بالغة على كلّ النشاط الأدبي العربيّ الحداثيّ وهم يرون في تمكّن القصيدة على أنّ (...علاقتها مع الواقع لا تستنفد دلالاتها...)[82] أي أنّها تبقى دائما حاضرة التبرير النقدي والتّسويغ الفهمي والتّخريج الحسّي وتلك جميعها آليات قرائية تجعل القصيدة قابلة للقراءة لدى كلّ مناسبة حضارية.

لقد أنتج التفكير النقدي الأدبي العربيّ المعاصر جملة من التّحوّلات في سياق الرّصيد الاصطلاحي وقد بات لزاما على الناقد المتبنّي لنهج الحداثة أن يكون ملمّا بذلك الرصيد وآليات استعماله وفق متطلّبات الرؤية الفلسفية التي يعتمدها هذا النّهج النقدي الجديد ، وقد يكون من البدهي لفت الانتباه إلى سيادة مقولات اصطلاحية في حيّز التفكير الشّعريّ يأتي مصطلح الإيقاع ، والتّشكيل

[82] بجمال الدّين بن شيخ ، الشّعرية العربية ،ترجمة : مبارك حنّون ، ومحمّد الولي ومحمد أوراغ ، ط:1 دار توبقال للنّشر 1996 ،ص: 6

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، والموسيقى ، والتّنغيم ، على أنّه المعطى التّداولي المسيطر ، فالذي صار معيارا ينتهج نسقه التفكيري في حيّز الاعتبارات النقدية الأدبية الحداثية هو أنّ المصطلح النقدي ذاته صار متداولا وفق غايتين هما : المصطلح أداة نقدية ، والمصطلح موضوعا تداوليا يحيل على مظانّ تفكيرية صارت لها معجميتها الاشتقاقية المبينة عن شكل من الانسجام في التفكير النقدي الجديد.

جدير بالذّكر هنا هو أنّ الثقافة النقدية الأدبية الحديثة متّسمة بالنّشاط والحيوية والإحالة على التفكير المعرفي المتحوّل المشبع بالإحالات المستقبلية أي تلك التي ترى في النّظرية النقدية الحديثة مشروعا حضاريا يعمل على تجاوز تأزّم الحاضر وانغلاقه على التّجربة العربية الأخرى ، وهي التي كبّلت رؤى الإبداع الواقعي الأخرى اجتماعا واقتصادا وسياسة وتاريخا ، وقد نجد في شيء من هذا التفكير النقدي ضربا من محاولة التّوأمة بين مشروع الإبداع الأدبي خاصّة الشّعر من ذلك وبين مشروع الرؤية النقدية عندما يلتقيان حول مؤدّى وظيفي واحد ظلّ محكوما بالغموض والتّهويم والحؤول والانفلات وهي جميعها مواصفات دالة على افتقاد الثقافة النقدية العربية الحديثة لجدوى الواقعية والنّجاعة الاجتماعية.

والذي يبحث في الكتابات النقدية الحداثية يستطيع أن يلمس عن كثب العناية الفائقة التي يبديها النّقاد العرب خلال تقديماتهم الافتتاحية للكتب النقدية الأجنبية المترجمة حيث يعربون بصورة واضحة أو بما هو لا يخفى على المتفكّر عن حقيقة التفكّك الثقافي الذي باتوا يلاقونه حاضرا في كلّ خطوة يخطونها في اتّجاه التّأسيس للأدبية العربية وخاصّة منها الجانب النقدي وعلى الأخصّ من ذينك التّأسيس للنّقد الاصطلاحي الذي صار يشكّل توجّها مدرسيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكاديميا غالبا على ما سواه من الإجراءات التّحديثية الأخرى ، وقد يكفينا برهانا على ما نحن بصدد تبيانه في هذا الموضع من بحث إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر أن نستقطع عيّنة نقدية تقديمية وردت في أحد أهمّ الكتب الترجمية والتي عوّلت على تقديم الثقافة النقدية الاصطلاحية الحداثية حين يقول (شاع الحديث منذ سنوات عن النّظريات والمناهج النقدية الحديثة في البلاد العربية ، بعد المعارضة والصّدود ، فاصطنع بعض النقاد تلك المناهج ، ومنها البنيوية في استنطاق النّصوص ، وقدّموا تلك النّظريات ومنها الشّعرية تقديما يتفاوت دقّة وعمقا ...)[83] ، وقد وجدنا ما أملنا في مصادفته حاضرا نطقت به ضرورة التوضيح التي ظلّت سبيل وبغية كلّ مترجم للثقافة النقدية الحداثية ، فقد كان لزاما على إمساس إشكال المصطلح النقدي باعتباره البوابة الوحيدة التي لا يمكن تجاوزها للعبور إلى الثقافة النقدية الأدبية العربية الجديدة ، فالتّناول الإشكالي هو المحرّض الرئيس في مداخلة كلّ مظانّ موضوع المصطلح النقدي.[84] .

1-6- ثقافة الملاحق الاصطلاحية:

لقد شاع بكلّ وضوح لجوء النقاد الترجميين إلى تبنّي ثقافة الإجراء الإلحاقي بواسطة رصد أهمّ المسمّيات الاصطلاحية التي تكوّن سباق التفكير النقدي في أيّ مشروع يقبلون عليه ، وتبعا لذلك فقد صادفنا كتاب طودوروف "في الشّعرية" مستوجبا ضربا من الثقافة أسميناها ثقافة الملاحق الاصطلاحية تبوّب وفق تصنيف أبجديّ يحاول أن يأتي شاملا لكلّ المؤدّيات الثقافية

[83]:تزفيطان طودوروف ، الشّعرية ، مقدّمة الترجمة ص:5

[84]ينظر المقدّمة حيث صرّح المترجمان لكتاب الشّعرية بما يفيد طبيعة الإشكال الذي صادفاه خلال نقل لغة النقد في موضوع الشّعرية من اللّغة الأصلية إلى اللّغة العربية ،ص: 7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعرفية التي اتّصلت بها أبواب الكتاب المقدّم ، وبالمناسبة فقد تذيّل كتاب الشّعرية بمجموعة من المصطلحات الفنية والعلمية وردت في ما ينيف على مائة وستة وخمسين اصطلاحا تتفاوت بين المحوريّ والجانبيّ ، غير أنّ الانتظام المعجمي لتلك المصطلحات وإن كان يسلك سبيل الترتيب القاموسي إلاّ أنّه يثير جملة من التساؤلات والاهتمامت البالغة الشّأن منها أنّ ترتيب الاصطلاح مشتركا بين لغتين اللّغة العربية واللّغة الفرنسية لا يجعل من اللّغة التّحويلية قيمة تشبّعية بل يبقيها رهينة الخيارات النقدية التي أتت في أصل لغة الكتاب ، بمعنى أنّ ترجمة المصطلح لا تفضي بالضّرورة إلى تفاهمّ أو تفهّم كلّي بين الثقافتين ثقافة الأصل وثقافة الترجمة ، لذلك فإنّ المهمّة الحاسمة للوظيفة النقدية من منظور نقد النقد الذي سنتبنّاه نحن في سياق بحث إشكالية المصطلح النقدي في النقد الأدبي العربيّ المعاصر ستبقى في منظورنا محدودة الأثر منعدمة الجدوى إن هي لم تلاقح واقعا ثقافيا أو فكريا مدعّما بالرّصيد الواقعي سياسة واجتماعا واقتصادا وتاريخا يقوى على احتضان تلك البدائل النقدية والفكرية المستوردة من تجارب الشّعوب الأخرى.

ويبدو واضحا جدّا لمن يتعمّق الفكر النقدي الأدبي العربيّ المعاصرأنّ كثيرا من العناوين التي أوردها نقّاد الغرب ثمّ أجريت عليها التّأثيرات الترجمية في حيّز اعتبارات النقد الأدبيالعربيّ المعاصر ظلّت في نظر كثير من النقاد مسكونة يالإجراء الإصطلاحي ، يجرونها مجرى الصيغة الاصطلاحية الكبرى أي المصطلح الذي يتّخذ من العبارة اللّغوية سياقا إجرائيا يشترط حضوره التّطبيقي ضروبا من التسميات الاسمية المطوّلة وقد رأينا أن نمثّل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهذا النّموذج الاصطلاحي بالمقولات الاسمية المركّبة التي نستعرضها وفق المسارد التي لا تقبل التفكيك أو التجزئة من مثل : سجلاّت الكلام[85].

لقد دفعت ثورة النقد الاصطلاحي ، وشعور الناقد العربيّ به حاجة ماسّة في تمتين عرى التفكير العلمي في حيّز الإجراءات النقدية التطبيقية ، فحدثت إثر هذا التّسرّع الذي اقتضاه الإلزام الحضاريّ خروقات ثقافية اكتسبت مشروعيتها الواقعية من خلال حاجة الثقافة العربية الماسّة إلى مبرّر تكويني جديد سيكون المصطلح هو أقوى دعوى ترفع في وجه التّحديات التي حاولت أن تقف في طريق إرساء المفاهيم النقدية الحداثيةالتي مثلما قلنا وكرّرنا ظلّ المجتمع العربيّ يقف منها موقف المشكّك في المصداقية بل ربّما نظر إليها على أنّها امتداد موضوعي وطبيعي لمشروع التغريب والاستشراق، وعلى سبيل المثال فإنّ كلّ الباحثين المتعمّقين لآثار الثقافة العربية الإسلامية يعلمون العلم اليقين أنّ عبد القاهر الجرجاني هو صاحب البنية الاسمية الاصطلاحية القائمة على التركيب الإضافي :معنى المعنى وقد تأرّخ ابتداعها انطلاقا من المقولات الفنية الثورية التي تشجّع في تبنّيها خلال كتابه دلائل الإعجاز[86] ، وبالرّغم من الثورة التي أحدثها منظور هذا المصطلح القديم الجديد فقد ظلّ النقاد العرب يستوردون النّموذج الغربيّ الترجمي منه صادّين عن دلالاته الأصلية في حيّز الثقافة الأدبية العربية مثلما يدرك ذلك كلّ باحث نزيه.

لقد ظل النّزوع الاصطلاحي في الاعتبارات النقدية الأدبية العربية الحديثة يبرز دائما بصفته وسيلة تفعيل لثقافة النقد الأدبي الترجمي وربّما خفّف

[85]: ينظر : طودوروف ، الشّعرية ، ص:38
[86]: ينظر ، عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 1981،ص: 204

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مداخلوه بعضا من غلواء وصعوبات تقديمه مطلبا ثقافيا ضروريا بمحاولة إيجاد المرتكزات التراثية فطفقوا يلوون كلّ مسمى اصطلاحي إلى أصوله العربية مغالبة لقوى الرّفض من قطاعات القرّاء وفئاتهم استرضاء وتقرّبا من مشروعهم الثقافي الانتقادي الذي سيظلّ يهيمن على كثير من الطّروحات الإبداعية المتشبّثة بالأصول المرجعية في كلّ نظرية أدبية أو نقدية تبرز إلى الوجود ، ولقد تقوّى هذا الحسّ أو التّوجّه حتّى صار يمثّل فئة عريضة من فئات المتلقّين ، هو هذا التّوجّه ذاته الذي سعى إلى تعطيل إقرار مبادئ تنثير الشّعر وتحويله من قيمه البلاغية والوزنية التراثية إلى معايير نقدية وإبداعية وافدة على الأدب العربيّ من خارج خارطته الواقعية.

ولعلّ من أبرز الإشكالات التي تصادف كلّ مداخل لحركة تحديث الأدب العربيّ هو الاسقاطات الاصطلاحية القائمة على تسمية الظّاهرة الأدبية العربية التراثية بمسميات اصطلاحية حداثية من مثل أن ينحو الناقد إلى بحث الأصول الشّعرية النثرية في كتابات الأدباء العرب القدامى وهو يعلم أنّ العقلية العربية الأصولية لم تترك لهذا المنزع من بين يديها سبيلا إلى التّحقق فلقد ظلّ القدماء جازمين في تسمية كلّ جنس أدبي بما هو خليق به وأجدر ، ولقد ذهب توفيق الزّيدي في ما يشاكل هذا التّوجّه حين بحث منزع الأدبية في التّراث النقدي العربيّ ، وقد كانت سبيله إلى تحقيق هذه الرؤية النقدية التشبّث بكلّ المعطيات الإبداعية المتماشية مع ما يفيده مصطلح الأدبية، وقد كان الباحث يراجع في كلّ مناسبة من مباحثه الغايات الفكرية القاضية بالتّأسيس لمؤدّى نقدي إبداعي يتقوّم باسم الأدبية مشاكلا في أسسه المعرفيه لصنوه مفهوم الشّعرية ، فالأدبية والشّعرية لهما معا منطلقات ترثية حاسمة لا يملك الناقد أن يتفرّع في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معطياتهما الفكرية إلاّ بالقدر الذي قد تفرزه النشاطات الإبداعية المنطلقة من معطيات الخطاب الأدبي ذاته ، وإنّ كلّ تجاوز لحقيقة المكوّن النقدي العربيّ التراثي سيظلّ ضربا من التّمحّل والتّنطّع والتقوّل فوق ما تحتمله المقولات النقدية التراثية في جوهرها المعرفيّ الأصيل[87].

وقد كان لزاما على كلّ النّقاد الصّادقين في تحسّسهم المناطات التفكيرية الواقعية أي تلك التي شكّلت وتشكّل عصب حياة التفكير الأدبي إبداعا ونقدا أن يتوحّدوا في اهتمامات عبر ملامسة الحقائق التي نبضت بها فاعلية الثقافة الأدبية الحداثية لذلك صادفنا معظمهم يتوحّد ضمن هاجس غالب ينسرد ضمن مقولات نقدية تكاد تقع حافرا على حافر من شدّة تلاؤمها حيث تكاد تقول بلسان المعرفة الواحد : (لا من شكّ في أنّ مصطلح الشّعرية من المصطلحات التي راجت في الدّراسات الحديثة الخاصة بالشّعر ، بل إنّ هذا المصطلح قد صار عنوانا لدراسات أدبية أو نقدية معاصرة ، المهمّ أنّ المصطلح في دلالته يعني ـ هنا أو هناك ـ الاستجابة النفسية المصاحبة للشّعر وهي استجابة لا تنفكّ تتّصل بما يتقوّم به الشّعر من خصائص نوعية تميّزه عن غيره من سائر الأنشطة التي تشترك معه في المهمّة وتختلف عنه في الأداة...)[88] .

والمهمّ هو أنّ مصطلح الشّعرية قد مارس غواية عارمة مسّت كثيرا من متعاطي النقد الحداثي ، ولو فتّشنا في الأصول المرجعية لهذا المسمّى التركيبي

[87]:ينظر ، توفيق الزّيدي ، مفهوم الأدبية في التراث النقدي ، سراس للنّشر ،1985 ،ص:70/71/72/73.

[88]: د.قاسم المومني ، شعرية الشّعر ،ط:1مطبعة الجامعة الأردنية عمّان 2002 ،ص:13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي ساد كثيرا حيث يعمد النّقاد إلى اشتقاق الكلمتين المضافتين بعضهما إلى بعض يصوغون منها معنى نقديا توليديا كأن يقولوا شعرية الشّعر ونثرية النّثر وشكلية الشّكل وإيقاع الإيقاع ووزن الوزن ، فقد استهواهم هذا التركيب الاصطلاحي الجدّاب حتّى صاروا يرتجلون المسمّيات ويرمونها عبثا على عواهنها لا يرقبون في ذلك أن يصيبوا قداسة التراث بلائمة التّحريف.

وإذا كان لزاما علينا أن نبادر إلى تعميق النّظر في كلّ المؤثّرات الفكرية التي أسهمت إسهاما بالغا في التّوجّه نحو تأسيس اصطلاحي لمشروع حداثة الأدب العربيّ فإنّنا حين تدبّرنا مجمل النّشاطات الأدبية والفكرية والإبداعية صادفناها تتوزّع في كثير من الأحيان عبر مسلكين رئيسين هما الاصطلاح المتبنّي تسمية المذاهب الأدبية التي لاقت رواجا تداوليا بالغا من مثل الواقعية والالتزام والمدارس الأدبية الفنية الأخرى فقد شاعت الواقعية في الممارسات الأدبية والنقدية العربية الحديثة على أنّها (... مصطلح فنّي حديث لا صلة له بالواقع الساذج ...)[89] ، لذلكفإنّ من شأن هذا الاصطلاح الذي غدا مسيطرا على كثير من النّزوعات التفكيرية في حيّز الممارسة النقدية الحديثة أن يحيل على مرجعيات أدبية وظيفية أدّت بالأدباء إلى التّحلّي بما يقتضيه تبنّي هذا المصطلح الذي لا نراه نحن مصطلحا فنّيا بقدر ما شكّل إحالات تفكيرية وفلسفية واجتماعية طالما تغنّى بها الأدباء العرب الاشتراكيون ، ولم يكن لهذا المصطلح أن يسير لوحده بل صار مكتنفا بدلالات نقدية اصطلاحية اتّخذت شكل الشّعار السياسي الضّاغط من مثل التقليد والتّجديد والالتزام والفنية

[89]: دجلمي مرزوق ، تطوّر النقد والتّفكير الأدبي الحديث في الربع الأوّل من القرن العشرين ، دار النّهضة العربية بيروت لبنان ،1982،ص:126

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والموضوعية ، ومن ثمّة وبناء على الدّلالة الضّاغطة التي شكّلت هذه الثقافة النقدية الاصطلاحية الإلزامية والتي صارت تشكّل موضة الوقت فقد صارت معها طاقات الإبداع الأدبي تتهاوى وتفقد عناصرها الجمالية ، وقد أفضى هذا التقهقر في الإمكانات الإبداعية لراهن الأدب العربيّ شعره ونثره ، وقد كان هذا التّأزّم كافيا لإنتاج طبيعة في الممارسات الأدبية صارت تجعل المتلقي يعزف عن مباركة معظم النتاجات الأدبية العربية الحديثة .

الفصل الثالث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- المصطلح النّقدي :

لعلّ الذي لا خلاف حوله هو أنّ النّزوع الاصطلاحي في النقد الأدبي عامّة والنقد الأدبي العربيّ خاصّة واقع في إطار التّحوّلات الحاسمة في الثقافة النقدية الإنسانية التي باتت تخيّم على ثقافة النقد الأدبي الحديثة .

هذا ولا يخفى أنّ للنّزوع الاصطلاحي حقائق ثقافية لا تكاد تخفى أماراتها في حيّز الدّراسات الدينية والفركية الأخرى ، فالإجراء الإصطلاحي يكاد يستحوذ مسيطرا على مناهج المعرفة الحديثة والمعاصرة سيطرة المناهج التّعليلية أو الفكرية التي باتت لا تغيب عن أيّ مشروع حداثي سواء أتعلّق الأمر بالاصطلاح الفلسفي أم الاصطلاح الفقهي أم الاصطلاح الأدبي الذي تتقاسمه ظاهرة الإبداع الأدبي إلى جانب ظاهرة ابتداع الأفكار النقدية أي تلك المحلّلة أو المتفهّمة أو المقارنة أو القارئة .

لقد صار النّزوع الطبيعي إلى الاصطلاح المرجعي يشكّل حاجة ماسّة هي بالضرورة المغلّف للمبرّرات الإجرائية التي تمهّد لكلّ تفهّم نقدي لذلك تبدو طبيعة النّزوع الاصطلاحي على أنّها تأتي ذات مغزى تبريري ظاهر فهذا محمّد المبارك[90] يستعدّ لمداخلة مفهوم القراءة في مشروع استقبال النّصّ عند العرب ببسط توطئة تبيينية ترد مورد الاصطلاح قبل الإيغال في استعراض المفاهيم العميقة لمفهوم القراءة النقدية أو الاستقبال النّصيّ وهو وفاقا لذلك لا يتوانى في أن يقول: (وضعت لاصطلاح التقلّي ألفاظ مشتركة في مناهج الدّراسات الأدبية الحديثة ، وقد تعذر لإيراد هذه الألفاظ 'أسماء وصفات' بتسلسل تاريخي دقيق ومقبول بسبب كثرتها وتداخلها وصعوبة الفصل بينها ...

[90] :استقبال النّصّ عند العرب ، ط:1 المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر ،1999،ص:27

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يكون التّلقّي أو القراءة لفظين جديرين بالعناية لكونهما يؤدّيان الغرض المقصود ، بيد أنّ طبيعة الدراسات الأدبية المعاصرة وارتباطها بالعلوم الأخرى لا سيما الفلسفة وعلم النفس فضلا على روح التّجديد السائدة في مفاهيم الأدب قد فرضت مقاييس لفظية جديدة وأسماء مبتكرة استمد قسم منها من علوم الاتّصال الحديثة ومن مفاهيم الرسائل الإعلامية ...)

لذلك يبدو لنا من الطبيعي جدّا أن يرتدّ النّزوع الاصطلاحي شبيها بالإعذار المسبّق الذي يمهّد لتخفيف وقع الصّدمة الفكرية التّأويلية على القارئ العربيّ ، وليس ذلك واردا إلاّ لكون المبدع الأدبي أو الناقد الأدبي يكون أكثر تحسّسا للفراق المعرفي الذي بات يفصل المتلقّي عن مرجعيات القراءة النقدية المعاصرة أو الحديثة.

يبدو مفهوم المصطلح النقدي من الوهلة الأولى متّصلا بصيغة ما من صيغ تسمية القضايا النقدية والفكرية ، فهو باعتباره منصبا على الصّيغ الإفرادية أو الصيغ الثنائية التّوصيفية من مثل : الصورة الأدبية أو الصورة الشّعرية أو الصورة الفنية أو الصورة البلاغية ، إنّما هي في مجموعها ذات مناطات اصطلاحية بالغة التّقارب إن لم نقل التّداخل .

والنقاد من غير المحترفين أي غير الذين أشربوا حسّ التّمهّر في إجراء تقاليد التّداول النقدي العلمي الموضوعيّ غالبا ما يخلطون في استعمال الممارسة النقدية التّجريبية خاصّة في حقول المتابعات النقدية الإنشائية أو لنقل التّحليلية أي تلك الممارسات النقدية الصّحافية ذات الأبعاد القرائية الفورية لكلّ منتوج أدبي إبداعيّ راهن بين القراءة والحكم النقديّ على اعتبار أنّ لكلا المؤدّيين الثقافيين منهاجا يحتّم على متبنّي أحدهما سلوكا تفكيريا يتوافق في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غاياتـه التفكيريـة والنّظريـة بكلّ المستتبعات الإجرائيـة التـي يقتضـيها المنهـاج الواحد من المنهاجين النقديين ، فالسياق النقدي القرائي التّحليلي غالبا ما يكتفي صاحبه بتحليل الأفكار الأدبية ومحاولة تقديمها بشيء من التّوضيح الذي يشبه التفسير أو الشّرح ، فهو ، تبعا لتلك الرؤية التفكيرية ، منهاج نقديّ يسلك سبيلا مسطحة تشتغل على إثارة المسموع والظاهر والبيّن والواضح وأمّا الشّقّ الثاني من المسعيين النّقديين المذكورين فغايته تتجاوز تلك الحدود التي ينتهي إليها المنهاج المبسّط المذكور إلى غايات نظرية وتفكيرية تحاول أن ترسّخ التفكير النقدي وتعمّقه بشيء من التركيز والتّنظير وذلك ما لا يبتغى بغير نهج سبل التفكير النقدي التّأطيري أي ذلك النّظر النقدي الذي يتوسّل بتوظيف النّظريات النقدية المحكمة التي تتبنّى السياق المدرسي العالمي وهي المشهورة بمقولة المذاهب النقدية.

ولا يمكن تصور بحال من الأحوال أن يتواجد النّظر النقدي الحديث بعيدا عن بذل الأسباب الإبداعية الراعية لذلك والدّاعمة له.

وإنّ السياقات النقدية الإجرائية التكوينية غالبا ما تنهض في النقد الأدبي العربيّ الحديث من خلال تعاطي المبدعين ذواتهم للمتابعات النقدية التفهّمية على شاكلة ما يؤدّيه إلياس خوري[91] في كتاب "الدّاكرة المفقودة" ، فهو يجري في كثير من فصوله وفق الانطباعات النقدية الصّحافية التي ترتسم أبعادها القرائية ضمن مشروع فكريّ لا يأخذ بعين الاعتبار الأطر النّظامية الكبري من مثل تلك التي ترتبطبمشروع الدّرس النقدي الجامعي الأكاديمي.

[91] : ينظر ، الدّاكرة المفقودة ، دراسات نقدية ، ط:1 ، مؤسسة الأبحاث العربية 1982 ،ص: 77

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمتأمّل لتجلّيات القيمة الأدبية سواء أكانت في صورتها الإبداعية الأولية أي الإنشائية أم في صورتها النقدية الناضجة الراسخة فإنّ في إمكانه إدراك الغايات الدّلالية على اختلاف مستويات نضجها المعرفي حيث تبدو متوّ لة المعايير والقيم إذ ليس النّصّ الأدبيّ في منطوقه ودلالته إلاّ مرتبة من مراتب التّجلّي اللّغوي عموما ، والفارق العميق بين منطلقات النّظر هو أنّ النقد الأدبي في تصوّراته المختلفة لا يعني بالملفوظ النّصّي إلاّ من حيث هو صورة للمادّة الأدبية أمّا غاياته من الفحص والنّظر فتتنزّل على مراتب أولها المضمون الدّ لالي في النّصّ .

سنعوّل منذ البداية خلال بحث إشكالية المصطلح في النقد العربيّ المعاصر أو بالأحرى الحداثيّ تجاوزا للاعتبارات التّحفّظية التي ستصادفنا لدى التعامل مع موضوع البحث أن نركّز على مبدأ التّحليل التاريخي للظاهرة النقدية في الأدب العربيّ بدءا من القديم بالغين بعد ذلك كلّ أسباب التّحوّل المنهاجي والموضوعي والفلسفي التي استفادتها التّجربة النقدية العربية ، كيفما صادف للتفاعل الثقافي العربيّ أن خالط أو تأثّر .

ويبدو لنا منذ الوهلة الأولى أنّ الوظائف الأدبية النقدية مترتبة وفق المتتالية التالية حيث يأتي إبداع الخطاب الأدبي أوّليا يليه الفعل الثقافي النقديّ وبالتّحديد الممارسة القرائية والتّحليلية للمنتوج الأدبيّ ثمّ يلي ذينك المبدأين مبدأ الإجراء الاصطلاحي أو التركيزيّ ، وبناء على هذا التّصوّر في ترتيب الفعاليات النقدية مثلما هو متعارف عليها فإنّ لثقافة الاصطلاح منزعا تلخيصيا فلسفيا شبيه بالمقاصد الأسطورية التركيزية ومشاكلا في الآن ذاته لمبدأ التفكير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحكمي باعتبار الثقافة الاصطلاحية قائمة على تشبّع تجريبي غالب على ما سواه من الاعتبارات الثقافية الأخرى.

يبدو لنا لفظ الاصطلاح قديم التّجلّي ، عريق الهجس ، غزير التّوارد بين أهل كلّ زمان وهو وإن عدّ من معارف المعاصرة والحداثة فهو لائط بأصول مناهج التّفكير الإنساني وهو بذلك متّصل بطبيعة عمل العقل لدى سعيه إلى وعي الأفكار والمعارف بسمّي ظواهرها تعليما لأصولها الدّلالية ، وليس من شيء اضطرّه إلى ذلك مثلما اضطره الإجراء القياسي فحسبه أن يتساند إلى قواعد المعرفة يتّخذ منها مناطات قياسية تعينه على ضبط الأحكام ولإصابة شروط التّقييم بالعودة إلى أصول الدّلالات والمعاني والأفكار ، لذلك يكون من الأحرى بنا القول :إنّ الإجراء الاصطلاحي ينبني على استعداد نفسي وعقلي مركوزة شروطه في طبيعة النّشاط المعرفي الإنساني فليس يقوى بعد ذلك كلّ فكر سويّ على الإخلال بتلك القاعدة.

وإذا ما أردنا تجذّر تاريخ حضوره المنهجي ارتددنا بموضوعه إلى بداية النّهضة العلمية المنهجية التي أثرها الدّرس الفقهي في اعتبارات الدّراسة الأدبية وخاصّة منها النّقدية ، حيث كان لزاما على التّفكير الدّيني الشّرعيّ أن يتبنّة منهج الإجماع الفكريّ من أجل تحديد القيمة الوظيفية المادية والمعنوية لمسألة اجتماعية أو دينية أو نفسية ما، فكان أهل ذلك الاختصاص يلجأون إلى تبنّي الأحكام الشّرعية المضبوطة التي تأخذ بمرور الأيّام طابع الاسمية الاصطلاحية.

وواضح كذلك من جهة اعتبارات أخرى أنّ المصطلح على العموم وارد من جهة التّأثيرات الحضارية المعرفية التي أفرزتها التّرجمة من الثقافة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليونانية إلى الثقافة العربية الإسلامية فقد صادفنا في هذا المضمار كثيرا من العلماء العرب المسلمين يستفيدون من المناهج الفلسفية للمنطق اليوناني في تفهّم ظاهرة الثقافية العربية الإسلامية من مثل الطباعي ، والصّناعي ، والاصطلاحيّ .[92]

ومن جهة أخرى فإنّ علم الاصطلاح فكر ناشئة جذوره التّكوينية الأولى انطلاقا من علم الصّرف العربيّ الذي هو علم يختصّ بدراسة إيقاع البنية اللّفظية الذي ينتظم الاستعمالات اللّسانية المبرّرة للغّة العربية ، فالمفردات تتفاوت في مستويات تشقيق فروعها بحسب الإمكانات الصوتية والمخرجية المؤلّف لجذر المادّة اللّغوية .

وقد يكون من الضروري والملحّ والمنهجيّ التّعريج على استيفاء حقيقة المعطيات الثقافية التي استنبت فيها تعاطي الاصطلاح النّقدي ، فنقول :إنّ من البديهي لدينا أن نرى أنّ التّجربة الإبداعية الإنشائية سابقة للممارسة النّقدية من الوجهة المنطقية الإحصائية فقد اهتدت النّفس البشرية إلى تعاطي الإخبار والتّصوير والانطباع قبل أن تحوجها صورة الوعي إلى الاهتداء إلى تدبّر المقاصد والوسائل والغايات المكتنفة لتلك الممارسة الأدبية الأولية ، وهذا يتوافق بالطبع والغريزة مع كون الحسّ أسبق في الوجود من العقل فالمحسوسات أولى من المعقولات ، بل لعلّ الفائدة المجتناة من كلّ هذا الجدل أنّ العقل يعتاش على تجارب الحسّ عبر نبواته وإصاباته ، فالعقل يقتفي أثر

[92] : ينظر ، أبو حيان التّوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج1 ، علي الزين أحمد أمين ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ، ص9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّجريب الحسّي يسايره ويراكبه ويتخيّر من التّجارب الحياتية ما نجع منها وما صار قابلا للمعاودة والتّنميط والتّكرار .

والسياق التفكيري السابق قائد لنا إلى أن نقول : إنّ التّجربة الحسية في الممارسة الأدبية هي الأسبق والأولى في الممارسة والوعي ، ولهذا نعتبر النقد الاصطلاحي شبيها بالحياة الثانية للممارسة الأدبية ، أي عبر ذلك المستوى التّفكيري الذي يستطيع فيه الأديب وعي الأدوات وإحصاء المؤدّيات ، حتّى يكون ذلك الإلمام وسيلة ناجعة لإحصاء مقدّرات الظاهرة الأدبية التي نعتبر مزاولة النقد الاصطلاحي أحد أبرز وجوهها التّنظيرية والتذطبيقية معا.

ويبدو من الواضح للمتفكّر في موضوع الاصطلاح النّقدي أنّ كلّ نزوع اصطلاحي هو في ظاهره توجّه معرفي لا يصيب غاية الخطاب الأدبيّ أو نصّه، لأنّ في طبيعة اشتمال المصطلح على التّركيز الفكري مفض بالضّرورة إلى تفلّت العيّنات النقدية المصطلح عليها من قبضة الدّلالة الاصطلاحية ، لذلك ترى بعض الاصطلاحيين من نقّاد الأدب العربيّ الحديث والمعاصر يبنون غاياتهم النّظرية على مقدّرات فكرية عامّة تحاول أن ترقى إلى ما فوق الوظيفة النقدية التّطبيقية ولنا في الاصطلاح الأدونيسي المهيمن : الثابت والمتحوّل خير أنموذج لذلك النّزوع النّقدي الاصطلاحي .

ويبدو لنا واضحا منذ الوهلة الأولى أنّ لأدونيس في الاهتداء إلى تلك الفاعلية الاصطلاحية صلة سواء أبدت لنا صريحة أم خفية بالمقروءات النقدية الغربية ومن ثمّة فإنّ للثقافة الترجمية أثرا بالغا في إملاء تلك الهوية النقدية ، ويكفينا قناعة في استيعاب هذا المبرّر الوظيفي أنّ معظم ثقافة أدونيس علي أحمد سعيد مستوحاة من حياته الشّبيهة بالاستشراق دون أن نتعمّد من حكمنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الحط من القيمة الثقافية والفلسفية التي يتربّع عليها هذا النّاقد المستحوذ على مكانة الريادة والتّجريب النّظريّ في حقل الدراسات الأدبية العربية المعاصرة وعلى الأخصّ منها الحداثية.

إنّ أزمة المصطلح في النقد العربيّ المعاصر أو بالأحرى إشكالية الانضباط العلمي والمعرفي وارد من جهة الأزمات اللاحقة بتلك الوظائف والأداءات المعرفية الموتّصلة الأسباب فيما بينها حيث (لا يستوي الإجماع الإنسانيّ إلاّ باللّغة ولا يستقيم بقاء اللّغة إلاّ بتجدّد ألفاظها)[93] .

وأن أزمة المصطلح النقدي أو إشكاله مترتّب على أبعاد تأزّمية أو إشكاليةأخرى تتماهى وتتجذّر التّجربة الأدبية في عمومها، وبأصدق تعبير فإنّ الإشكال منبعث في صميمه من أزمة حضارية روحية متفاقمة أسبابها كتب لها أن تصيب مجالات الحياة العربية الواسعة من سياسة واقتصاد وثقافة واجتماع بما لا يدع شكّا في تأثر الأبعاد الحيوية الأخرى بتلك الأعراض المرضية المذكورة ، وإنّ لسلسلة الانقطاعات والتّواصلات في سياق تاريخ الحضارة العربية الإسلامية من نهوض وسقوط وازدهار وخمول صلة بتلك الفاعلية الثقافية المفتقدة حيث يمكننا توصيف تلك المؤثرات بالحسّاسة للغاية وأنّ أيّ اختلال أو ارتباك في شروط سيرورة التّواصل الوظيفي مفض بالضّرورة بها على التّفكّك والتّشتّت والاندثار ، وإلاّ فبأيّ من الأسباب نفسّر انقطاع حداثة الأدب العربيّ أو معاصرته عن ذلك الازدهار الادبي والنقدي الاصطلاحي الذي كانت تحتفل به العصور الأدبية العربية وعلى الأخصّ من ذلك إبّان العصر العبّاسي؟ فالذي يفلي آثار الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وكثير من

[93] :د. عبد السّلام المسدي ، المصطلح النقديّ ،ص: 7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علماء الفلاسفة المسلمين يستطيع أن يلمس بوضوح معالم الثراء النقدي بما فيه غناء الدّلالة الاصطلاحية لتنقطع أسباب تواصلها ويفضي بها النّسيان إلى هاويتي الصدّمت والنسيان.

وإذا ما قلّبنا دلالة المصطلح النقدي في عمقها الدّلالي ألفيناها متّصلة اتّصالا متينا بالتّسمية ، وأيّ تسمية ؟ إنّها التّسمية التي تحاول تحديد فضاء دلاليّ والتي نجاعتها مرهونة بمدى اختصاص تلك الصّيغة الاصطلاحية بترسيم حدود التّداول النّظريّ والتّطبيقيّ المعلّم بتعريفات فكرية وفلسفية من اللاّئق بها أن تحافظ على خصوصية لأنّ بفضل ثباتها يحافظ المصطلح على خصوصية هويته النّقدية.

ولعلّ من البدهي القول: إنّ الإجراء النقديّ الاصطلاحي كان مبعثه الأوّلي مناسبا ومزامنا لتيار النقد المدرسيّ ، باعتباره قائما على مواثيق وتفهّمات جماعية تصدر في أشكال التزامات مبدئية متّصلة غاياتها التّطبيقية بقناعات فلسفية هي التي تصدر عنها تلك الجماعة أو المدرسة تحقيقا لموقف فلسفي أو جمالي أو عقيدي معيّن ، وقد كان لفرويد ومدرسة الشّكلانيين الرّوس، والمدرسة البنيوية جهود ظاهرة في توثيق المناهج النقدية الاصطلاحية التي من شدّة التزامها صارت تصدر في شكل التزام مبدئي يستمدّ مرجعياته الفلسفية من قناعات واقعية أملتها إفرازات الواقعين الاجتماعي والسياسي لمجتمعات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، والتزاما بهذه الهوية المعرفية لكلّ إجراء اصطلاحي نرى أنّ النقد العالميّ أو الإنساني الحديث ما يزال يسعى في كثير من إجراءاته العملية على الصيغة التّعرفية التي ستظلّ تحاول توفير المصداقية اللاّزمة للتّفكير المصطلحيّ ، لذلك وبالرّغم من تربّع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعض المناهج النقدية على تجارب بالغة الرّسوخ فإنّ منهجا نقديا من مثل المنهج السيميائي سيظلّ محفوفا بالارتياب والتّشكّك والمخالجة لا لشيء إلاّ لكونه يصدر عن فلسفة إقناعية ستظلّ مهما تجذر فكرها في النقد الأدبيّ العربيّ المعاصر أو الحديث متّصلة بثقافة التجاوز أو الغموض أو الاستباق المخلّ بالتّوازن المعرفيّ الملائم بين المعقول واللاّمعقول ، ولنا أكثر من برهان على هذه الحقيقة التي تتجدّر التجارب النقدية العربية وعلى سبيل المثال ففي كتاب أنور المرتجى النقديّ "سيميائية النّصّ الأدبيّ" الذي يأتي ، بالقياس إلى قدم المنهج السميائي لدى الغرب أو تاريخ تواجده الفعلي أو العمليّ في الثقافة الترجمية ، بعد حصول القناعات الإجراءات المترتّبة هي الأخرى على مراحل طويلة من الممارسات النقدية النّظرية والتّطبيقية سعى النّاقد إلى بسط سياق تعريفي على النقد السيميائي وهو لا يشذ في ذلك عن باقي النقّاد العرب المعاصرين حيث التزم مبدئيا بتقديم الهوية الفلسفية والإجرائية للنقد السيميائي فقال : إنّ السيميائية هي العلم الذي يدرس الدّلائل ..)[94]

ولا يخفى علينا ما يشتمل عليه هذا الإعلان الأوّلي الاستباقي لتعريف المصطلح ففي نظرنا أنّ كلّ ناقد عربيّ لا يخوض في علم الاصطلاح إلاّ وهو يشعر بتأزّم عميق حتّى يجعلنا ذلك الإشكال نفكّر حقيقة بأنّ المصطلح النقدي بعد أن يقوم في النقد الغربيّ يرتدّ في ميدان النقد العربيّ ليتعرضّ بالطّبيعة إلى مراهنات مبدئية تفصح عن ضرورة خضوع كلّ المعارف الفلسفية والأدبية لإجراء تأسيسّي هو الذي سيمنح الدّلالة النقدية الاصطلاحية بعدها المحلّي على اعتبار أنّ الثقافة الإنسانية مهما توحّدت أسبابها العلمية فهي تحتاج دائما

[94] أنور المرتجى ، سيميائية النّصّ الأدبيّ إفريقيا الشذوذ ، الدّار البيضاء ، ص:3

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمسوّغات الخاصّة بكلّ تداول تفريعي لها ، وتوكيدا لسلامة هذا الحسّ أو التّحسّس النّشوئي نصادف كلّ المشاريع النقدية الإصطلاحية تعوّل مبدئيا على إعادة النّظر في مقوّمات التّأصيل المتبني لقيام معرفة نقدية ما ، (...فالسيميوتيقا بهذا المفهوم قريبة من المنطق الصّوري...)[95] ، بل لا يستبعد المؤصّلون لهوية المنطلق الاصطلاحي أن يعثروا على ما يشاكل مصطلح السيميائية لدى أفلاطون[96] .

وإنّنا لا نستغرب هذه الرّجوعية أو الارتداد التّبريريّ بالتعلّق بالأصول الغابرة للمعرفة الإنسانية لأنّ من ديدن المعرفة الإنسانية أن تبقى إنسانية متماهية تعرّضها مواصفاتها العلمية لتوكيد سياقها التّجريبي الافتراضي ، لذلك يستوجب علينا إنصاف موضوع الاصطلاح النقديّ ،بالقول : إنّ الباحثين يخلطون عبثا بين العلمية الموضوعية والعلمية الأدبية فالأولى من مهامّها أن تبقى محافظة على سياقها الإجرائي الأوّلي الذي تصدّقه القاعدة أو الصّيغة ، بينما ترتدّ العلمية أو الموضوعية الأدبية إلى تكريس مبدأ المراوحة في حيّز الدّلالة الواحدة وذلك يكون عن طريق تجريب الخروج المقصود عن القاعدة إلى ما يشاكلها، وانطلاقا من هذا الاعتبار الراسخ في تصديق مدى ارتباط مصطلح النقد الأدبي بهويته الإبداعية لا العلمية فإنّ ممّا ينبغي الاتّصاف به في حيّز الدّلالة النقدية هو عدم التّغوّل في ادّعاء الموضوعية المفرطة حيث يستحقّ كلّ إجراء تفهّمي إلى المحافظة ضمن الدّراسة النقدية على هوامش دلالية مراوحة مرنة تحفظ لأدبية الخطاب اللّغوي فضاء للتّنفّس والمغايرة ،

[95] أنور المرتجى ، سيميائية النّصّ الأدبيّ إفريقيا الشذوذ ، الدّار البيضاء ،ص:3

[96] : ينظر ، المرجع نفسه ،ص: 3

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك فإنّنا نعتبر التلطف في تناول درس النّقد الأدبي من المحايثات الإجرائية التي تضمن للوظيفة النقدية القرائية مصداقيتها الإبداعية.

لعلّ الذي يجعل الحاجة إلى الاصطلاح ماسّة في حيّز ممارسة النقد الأدبيّ ، نقد الشّعر أو نقد النّثر أنّ كلا الاعتبارين ، اعتبار النقد واعتبار الاصطلاح صادر عن وجهة علمية تركيزية تفضي بالضّرورة إلى جنوح التفكير النقدي إلى طبيعة اختصاص المعرفة في كلا الحقلين متلائمة متناغمة ، وتتقوّى هذه الاعتبارات المنهجية إلى أن تفضي إلى ما يمكن استخلاصه أنّ الوظيفة النقدية غالبا ما تجانس طبيعة الإبداع الأدبيّ ذاته فتنبني على الهجس والتّحسّس الدّلالة الظنية فتكون الحاجة إلى وظيفة التركيز الاصطلاحي ماسّة لأن تحفظ للوظيفة النقدية مرجعيتها العلمية المغايرة لطبيعة التفكير البلاغيّ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-للتلاؤم الدّلالي بين اللّغة والمصطلح النقديّ :

لاشكّ في أنّ كلاً من اللّغة في جميع أوجه نشاطها المعرفيّ تعاني ذات المآزق الدّلالية والمنهاجية التي يعانيها علم الاصطلاح ، وعلى الأخصّ علم اصطلاح النقد الأدبيّ باعتبارهما صادرين عن حسّ اجتماعي ونفسي واحد ، وأنّهما معا ينتميان للمشروع الثقافي العربيّ المتخبّط في أتون التمزّقات الروحية والمعرفية العميقة الآثار ، ولعلّ أهمّ نقيصة منتجة لأزمة النقد والاصطلاح النقديّ هي أزمة الإجماع الثقافي فالثقافة العربية الإسلامية في كثير من تجلياتها التراثية والحداثية ما تزال تعاني أزمة الإجماع المدرسي أو الميثاق السياسي الذي يحفظ لمتعاطيها سبيل الاطمئنان إلى ما هو خائض فيه من مستلزمات التّجدّد والإبداع ، فالعربيّ اليوم تنتابه الرؤى وتتجاذبه المسالك التفكيرية دون أن يتمتّع بحرية الانفعال الفطريّ الإيجابي حيال تلك المسائل التي تشغل باله فالقرار السياسي هو عمدة المسالك الأدبية والفكرية في مشاريع الثقافة العربية حيث يتحتّم على المفكّر الفرد الخضوع الأعمى لمتطلّبات القرار السياسيّ حيث يؤدّي إشكال افتقاد حرية الانطباع إلى ضياع فورة الابداع وتشتّت الطاقات التفكيرية المنتجة للظاهرة الإبداعية ، وبناءا على هذه المعطيات يتّضح لنا انّ المصطلح في معظم تجلياته الثقافية سيظلّ مرافقا لحياة اللّغة يضعف بضعفها ويقوى بقوّتها ، وإذا كان للمصطلح النقدي نفس طبيعة النّزوع إلى التّسمية على غرار الموجودات والمولودات فإنّ من خصائص الملاءمة بين الصيغة الاسمية وكون الشيء المسمّى أن يلتحما في جميع المفاهيم والدّلالات الموضوعية أو غير الموضوعية استيفاء لمجمل المكوّنات العميقة التي تقف وراء توقيع الاسمية المتعلّقة بقضية نقدية ما ، والتي في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغالب والأرجح أنّ الحسّ أو التصوّر يهجم عليها في مظانّها العميقة دفعة واحدة بدون تحفّظ أو تذبذب من شأنه أن يكفل للنّزوع الاسمي او الاصطلاحي المناسبة الدّلالية المستوعبة للأبعاد الفكرية العميقة أي تلك التّصوّرات التي تتجذر الفكرة النقدية ، لذلك فإنّ العامل الرابط بين الوظيفة الاصطلاحية والوظيفة النقدية منبعها استراتيجية التّصوّر التي تصدر عنها الفكرة النقدية وعلى أبلغ فهم وأوضح تقدير فإنّ الدّلالة اللّغوية لجذر المصطلح تحمل مرونة تتّسع لتشكّل المصطلح[97] ، بالقدر الذي ندعوه تنفّس المصطلح.

وانطلاقا من هذا التفهّم الآنف المورد يبدو لنا أنّ من سمات نجاعة المصطلح أن يقوم على المرونة والمطاوعة التي تكفل للفكرة النقدية سيرورتها التّحوّ لية بما يضمن لها النماء والتّفتّق والاكتمال الدّ لالي.

وعلى أسلم تقدير حسب ما يتراءى لنا بعد تمعّن الوظائف التّفكيرية والدّلالية التي يمكن لمصطلح النقد الأدبي أن يسديه للتّجربة النقدية فإنّ الاعتناء بتدقيق الصيغة الاصطلاحية مرتبط بالضّرورة بالاعتناء بتهذيب لغة الأدب والاستعمال النقدي معا ، حيث تتوافر كلّ لغة من لغات الأمم على مرجعيات نفسية أو عقلية أو اجتماعية تجتمع تلك الجهات كلّها من أجل إرساء منهاج استعمال لغويّ معيّن وبصورة أكثر وضوحا ودقّة فإنّ كلّ لغة من اللّغات الإنسانية يتجاذبها الاستعمالان : الاستعمال التراثي التقليدي ، والاستعمال الحداثي التّجديديّ ، وليس شدّ التّوازن بين الغايتين بالأمر الهيّن فالعقول والنّفوس غالبا ما تقع ضحية ثورة الأجيال وتطاحنها وتتفاقم تلك الوجهة وتتقوّى منتجة ضروبا من التقاطعات والتمزّقات الفلسفية والثقافية

[97] : د. رجاء عيد ، المصطلح في التّراث النقدي ،ص:141

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأدبية ، ثمّ تفضي تلك الخلافات إلى تأزّم في الاستعمال اللّغوي سواء أكان الأمر بالنسبة للغة الإبداع الأدبي أم لغة الاستعمال التّفكيري النّقديّ ، وأحرى بالثقافات الأدبية ممن مثل الثقافة العربية أن تسترشد بمقوّماتها الإجماعية فتهرع إلى مجامعها اللّغوية والعلمية ، أو إلى مؤسّساتها البحثية باعتبارها مرجعيات ثقافية يعتدّ بها في التّغلّب على الأزمات والإشكالات التي تشكّل ظاهرة ثقافية أو نقدية أو أدبية على العموم ، والأدباء العرب المعاصرين والحداثيين ما فتئوا يشيرون إلى هذا العبء المستفحل في عقولهم حيث بات جديرا بكلّ واحد منهم أن يتساءل:(كيف يفرز المجتمع المعايير الأدبية ؟...)[98] ، حيث يتمّ في ضوء تلك الرؤية المعيارية ابتدال الدّلالات والمصطلحات ، وتدقيق المفاهيم القابضة على الظّاهرة الأدبية والنقدية معا.

ولا ضير بعد كلّ ما سلف تداوله أن نشير إلى أهمية عامل النّضج الفكري والموضوعي القائمين بدورهما على النضج الاجتماعي الذي بحصوله تتوافر الأسباب والغايات الانفعالية الداعية والمبرّرة لميلاد الظّاهرة النقدية والتي لاشكّ في أنّها مشاكلة في كثير من تجلياتها للظاهرة الاصطلاحية ومشتملة عليها في الآن نفسه ، فالاستقرار في الفكرة واعتمادها والاشتغال على إجراءاتها التطبيقية هي من المسعفات العملية التي تفضي إلى تبلور الرؤية والرؤيا معا.[99]

وحتّى وإن ارتأى النقاد في المفاهيم النقدية الاصطلاحية البالغة الأهمية أي المحورية منها على أنّها تتعدّى المعنى اللّغوي الضّيق ، ولعلّنا لا نبالغ أنّ من رحمة المصطلح أن يعمل على المحافظة على قابلية تنفّس الخطاب حيث يبقى مسكونا بقابلية استيعاب المستجدّات التصوّرية الطارئة مثلما يبقي

[98] توفيق الزّيدي ، مفهوم الأدبية في التّراث النقديّ ،ص: 4
[99] توفيق الزّيدي ، مفهوم الأدبية في التّراث النقديّ ،ص: 6/5/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجالات النفس المبدعة متحفّزة أبدا إلى ريادة المستطرف ، ورؤية تتحسّس كلّ جديد.

ووفق ما اجتمع لديّ من قناعة بعد استقراء بعض المقولات النقدية المتّصلة مواضيعها بمسألة إشكال المصطلح النقدي في النقد الأدبي العربيّ المعاصر فقد تبيّن لنا أنّ الغربيين الذين دأبنا على قراءة نتاجاتهم النقدية من مثل تزفيتان تودوروف ، ونعوم تشومسكي ، وجاك دريدا ، يتشجّعون كثيرا في الهجوم على تسمية الظاهرة الأدبية خلافا لما نلحظه لدى النقاد العرب فهم يتحامون الظاهرة بالتّقليب والتّدوير والشّروح والتفاسير قبل أيّ إجراء اصطلاحي وكأنّهم بذلك التّهذيب يقرون بما يقبع في قرارة أنفسهم بأنّهم يتطفّلون على ارتياد هذه المحافل الفكرية ، وتأتي نقودهم مشبعة بالاعتذارات والتّوسّلات المبرّرة لتلك البرودة وذلك الفتور الغالب على مواقفهم النقدية ، والنقاد العرب الرياديون لا يقاربون نظرية قرائية غربية إلاّ بالتّبجيل والتّزيد يحدوهم في مواقفهم تلك التناول الإشكالي للظّواهر .[100]

3- الهوية الاصطلاحية للتقديمات النقدية والتّعاريف:

لقد استرعى انتباهنا تقليد شائع في مطالع الكتب النقدية أو ثناياها مفاده أن يعمد المؤلّف إلى الاختصاص ببذل الجهود التعريفية أو التقديمية تقوم من الوجهة المعرفية مقام الوظيفة الاصطلاحية ، غير أنّ لهذا المسلك النقدي طبيعة تغاير طبيعة المصطلح ، ففي حين يسعى اعتماد المصطلح سبيلا إلى التركيز والتكديس والحوصلة الاسمية للفكرة أو القضية ، ينحو السياق

[100] : ينظر ، مقدّمة شكري المبخوت ، ورجاء بن سلامية لكتاب: تزفيطان طودوروف ، الشّعر ية ، تر: شكري المبخوت ، رجاء بن سلامة ، دار توبقال للنّشر ، المغرب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّعريفي او التقديمي إلى إقامة التوضيح المستفيض بعض الشّيء ، وهو وإن يكن لا يغطى المجالات الوظيفية للظاهرة النقدية أو الأدبية كلّها إلاّ أنّهما أي التقديم والتّعريف يسعيان إلى تذليل المعارف القريبة جدّا من حيّز استعمال الفكرة النقدية ذاتها ، ولقد استرعى انتباهنا ، لدى تدبّر مدى الصلة الرابطة بين نزوع الاصطلاح وبين نزوعي التعريف والتقديم ، عنوان وقع مدخلا للمقام الأوّل أي رقم واحد من مبحث مفهوم الشّعرية لدى تزفيطان طودوروف[101] تحدّدت غاية ذلك المدخل من خلال وضعه عنوانا تقديميا هو: تعريف الشّعرية ، سعى فيه الباحث إلى مداخلة شيء ممّا يشبه المعرفة الاصطلاحية ، حيث قال : ينبغي قبل كلّ شيء التّمييز بين موقفين ...)[102] .

ويعتبر قوله قبل كلّ شيء إعلانا واضحا عن معالجة نقدية هي أخصّ من تلك الخصوصيات النقدية الإجرائية التي اعتاد النّقاد اعتمادها سبيلا لمداخلة التّحليلات النقدية الأكثر تفصيلا ، وقد كان حريّا بالمدخل ذي النّزوع التّعريفي المركّز أن يراهن على استعمال العبارات والمفردات التي تتحاشى ظاهرا مناوشة أسرار الخطاب النقديّ ، إذ المسألة أو المهمّة لا تعدو كونها إجراء تقديميا تعريفيا، يقوم على الإشارات النقدية التّعريفية التي تلمح إلى بعض القضايا الكبرى العامّة المركّزة والتي تعتبر الإطار النّظري والفكريّ المهيمن على روح الخطاب النّقديّ .

[101] ينظر ، مقدّمة شكري المبخوت ، ورجاء بن سلامية لكتاب: تزفيطان طودوروف ، الشّعر ية ، تر: شكري المبخوت ، رجاء بن سلامة ، دار توبقال للنّشر ، المغرب ، ص: 26

[102] : تزفيطان طودوروف ، الشّعر ية ، تر: شكري المبخوت ، رجاء بن سلامة ، دار توبقال للنّشر ، المغرب ص: 26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثمّة فرق بين ظاهر بين وظيفتي كلّ من الإجراءين النقدي من جهة والإصطلاحي من جهة أخرى من حيث سياق دلالتي كلّ منهما وقد يلتقيان في بعض خصوصيات الثقافة النقدية إلاّ أنّ المصطلح يأتي حاملا للإجراءات التركيزية التلخيصية في حين يعمل الإجراء النقدي إلى بسط القضايا الفكرية بسطا يصيّرها قابلة للتّفاضل ، وغالبا ما تكون الحقول الإبداعية متوافرة بحسب اختصاص نشاطها التّأمّلي أو التّصوّري قابلة لحمل الإجراء الإصطلاحي أكثر من غيرها إذا فالثراء المعرفي الذي تتبني عليه فاعلية الموضوع الأدبي أو الموضوع النقدي هي المثير الأوّل والمحفّز الغالب على طبيعة استدعاء المسمّيات النقدية الاصطلاحية ، وسيكون من اللاّزم والضّروريّ لكلّ متوجّه هذا التّوجّه وساع في ذات المسعى أن يبادر إلى توضيح المنطلقات والغايات التي تصبو إليها الرؤية النقدية فيميّز بين لغتي كلّ من الأدب من جهة والنقد من جهة أخرى ، وهو الإجراء الذي يعتبر أحد أركان التّأسيس المبدئي[103] ، وسيستدعي بالضّرورة هذا التّوجّه التعريفي في سياق الإجراء النقديّ العامّ إلى أن يبذل النّاقد قصارى جهده من أجل توضيح الموقف النقدي ذاته والذي ينحو منحى متميّزا خلاف ما اعتاد النّقاد استعماله لدى ممارسة العملية النقدية العادية حيث يكون (... أوّل ما يجمل الإلماح إليه ابتداء هو أنّ خصوصية المعرفة النّوعية والتي هي في مجالنا الحالي النقد الأدبي تزدوج مع خصوصية المادّة ذاتها التي هي الأدب ...)[104] .

[103] : ينظر :د.عبد السلام المسدي ، المصطلح النقديّ ، ص: 18
[104] : ينظر :د.عبد السلام المسدي ، المصطلح النقديّ ، ص: 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومثلما بدا لنا قبل هذا الأوان من سيرورة بحث إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر فالتّركيز المعرفي القائم على تلخيص جملة من الإجراءات التفكيرية والتّطبيقية هي الدّافع والمحرّض الأقوى الباعث على استنهاض ثقافة الاصطلاح النقديّ الذي يفترض فيه أن يتلاءم متماشيا مع المشاريع الثقافية العربية كلّها فبقدر توافق الرؤى وتناغم المفاهيم يحصل الانسجام والتّلاؤم في إفراز الأسماء الاصطلاحية (إنّ المرء في بعض الأحيان يجد نفسه أمام منطقة تداخل في المصطلح باللّغة العربية ، ومن ثمّ فإنّ أفضل شيء لإزالة هذا اللّبس أو هذا التّداخل هو وضع المصطلح الأجنبيّ أمامه ، حتّى أمنح القارئ فرصة التّمييز الدّقيق الذي لم يستطع نقله بدقّة من اللّغة الأجنبية إلى اللّغة العربية ...)[105]

ويستطيع الذي يتتبّع مسار التّحوّلات الفلسفية والفكرية في ثقافة الأدب العربيّ المعاصر أن يلمس عن قرب مدى الاصطراع الذي ظلّ تخيّم علاماته وتتبدّى أماراته على واقع الممارسات الإجرائية الميدانية ، ممّا أوجد ارتباكا واهتزازا بالغين امتدّت آثارهما لتشغل حيّزا معتبرا من الطاقات والجهود الإبداعية العربية التي أوهاها التناقض وأقعدها بعيدة عن إدراك حقيقة فلسفة الحداثة الأدبية ، حتّى أدّت تلك الفوضى إلى توليد جملة من المفاهيم المتعدّدة التي لا تستقرّ بالضّرورة ضمن مؤدّى تفهّمي واحد ، بل هي تتصارع وتتناقض وتتقاطع وتتداخل فتبتعد عن المفاهيم النقدية المضبوطة .

[105] : خوسيه ماريابوثويلو إيفانكوس ، نظرية اللّغة الأدبية ، تر: د. حامد أبو أحمد مكتب غريب ، ص:13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالرّغم من وعي كثير من الجهود النقدية لبعض مسارات تحوّلات الحداثة الأدبية العربية خاصّة في جانبها الاصطلاحي الفلسفي أو في جانبها التّطبيقي فقد هرع أكثر من ناقد عربيّ إلى الاشتغال على مخلّفات الاضطراب والتّناقض لا يشغلهم شيء مثلما يلهيهم أمر تتبّع الظاهرة النقدية من حيث منطلقاتها الاصطلاحية لذلك فقد ألفيناهم غلب عليهم الإجراء النقدي المتفهّم لهذا المناط حتّى غلب عليهم منهاج نقديّ يكاد يكون واحدا متوحّدا ضمن شروط الاشتغال بظاهرة الاصطلاح في النقد الأدبي العربيّ الحداثي فكان أن قالوا بتاريخ توظيف مصطلح الحداثة [106] ، وقد تحرى هذا التوجّه اتّخاذ الوسائل الإجرائية المناسبة للسياق الفكري في مجال النقد الأدبي العربيّ ، بما لا يترك لكائن التّفكيك والانفصال عن سلسلة الجهود الأدبية والنقدية العربية القديمة سبيلا إلى الانقطاع عن التّجربة العربية الطويلة وقد عبّروا عن هذه القناعة بمقولات: (كلّ من يحاول أن ينتزع النّصوص النقدية من سياقها العامّ ، دون ربطها بالنّصوص الأخرى المجاورة لها ليقدّم مفهوما ما أو رؤية شمولية لأديب أو مفكّر ما يقع في الخطأ ويخونه الإدراك الكلّي لمعنى المقولة المنتزعة...)[107].

وبحسب ما اجتمع لدينا من اقتناع بعد القراءات المتواليـ ة لـ لنّصوص والمقولات النقدية الحداثية الفاعلة فقد تبيّن لنا أنّ النّاقد العربيّ ا لحداثيّ ظلّ يبحث له عن مسوّغ تبريري يتشرنق فيه لدرأ مكاره التبشير بقيم الحداثة الثقافية ومنها ثقافة النقد الأدبي الحداثي فلم يجد أفضل من شرنقة المصطلح

[106] : ينظر:سعيد بن زرقة ، الحداثة في الشّعر العربيّ ، أدونيس نموذجا ، أبحاث للتّرجمة والنّشر والتّوزيع ،بيروت لبنان ، ص:143

[107] :سعيد بن زرقة ، الحداثة في الشّعر العربيّ ، أدونيس نموذجا ، ص: 143

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النقدي سبيلا لامتلاك مبرّرات المقولات النقدية الحداثية ، لذلك فإنّنا مقتنعون بأنّ بعض المستمليات النقدية الحداثية كان لها دور التّبرير والتّسويغ أكثر من إسهام التفكير والتّثقيف والتّفسير للظّاهرة الأدبية في طابعيها الفنّي أو الجماليّ ، وبناء على هذه القناعة التي تـ بولا أكثر من مشروعة فإنّ النقد الأدبي العربيّ الاصطلاحي ظلّ يهوّ م عبر متاهات التبرير والتّسويغ وقد قذف به هذا التّأزّم والإشكال إلى أن يتخلّى عن الوظيفة النقدية النّاصعة ، من حيث جرّه إلى أن يعلق في فكّ شراك الإشكالات الفلسفية والحضارية التي بات القارئ العربيّ يتبنّاها جراء سلسلة الهزائم السياسية والاقتصادية التي أفرزتها التّجربة الحضارية العربية الحديثة ، لذلك فقد ألفينا النقد المدرسي أو الأكاديمي العربيّ يحترس في توظيف السياق الاصطلاحي للظاهرة النقدية أو الأدبية قبل أن يغامر في مداخلة الأدوات النقدية الأخرى ، وعلى سبيل المثال فقد التزم الناقد العربيّ القارئ للمقولات الحداثية بأن يتتبّع سلسلة التّحوّلات في سياق النقد الأدونيسي الذي نعترف ضمنيا بأنّه الأكثر مشاكسة والأقوى فاعلية في توتير الهاجس الثقافي العربيّ الحديث ، وقد دفعت شدّة الاحتراس إلى بسط أسباب المنهاجية التي يمكن بفضلها مداخلة عوالم أدونيس النقدية الحداثية وهو مطلب تنبني عليه المساءلة عن مدى أصالة التفكير النقدي الأدونيسي وهل ممارسة الحداثة كمصطلح في بداية حياته عن وعي ؟[108] .

والذي يطرح هذه المغايرة أو المراهنة إنّما يبادر إليها انطلاقا من طرح حقيقة التباس الجهود النقدية العربية الحداثية بذات الجهود الأدبية الإبداعية التي

[108] :سعيد بن زرقة ، الحداثة في الشّعر العربيّ ، أدونيس نموذجا ، أبحاث للتّرجمة والنّشر والتّوزيع ،بيروت لبنان ،ص:43

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنتجتها فهما أي الإبداع الأدبي والنقد كانا يصدران معا عن قناعة إجرائية وتفكيرية واحدة قوامها الذات الأدونسية التواقة إلى كسر رتابة المحافظة ، والارتماء في أحضان التّجديد المتجدّد.

وعلى أوثق رؤية وأنصع تقدير فقد ظلّ الفكر النقدي مسلّحا بكثير من الاحتياط والحذر يحشد في كلّ مناسبة دواعي التبرير والاعتذار ، أو بما يمكن تقديره بترك الفسحة المناسبة للتراجع عن الأفكار والمبادئ التي يلفظها جسم واقع الاجتماع العربيّ ، وعلى سبيل المثال فقد ظلّ عالم الشّعر العربيّ هو الحقل التّجريبي الأكثر مرونة واحتمالا للتّجريب النقدي النّاهض من مصطرعات الواقع العربيّ الذي نحسب أنّه ظلّ يستملي مسوّغات التقبّل من معطيات الواقع العربيّ الأخرى فقد ظلّ الوعي العربيّ يقايس فيما بين الحقائق ، يقارن ويختزل المعطيات فيتخيّر منها ما هو أقرب إلى الحقيقة ، وقد وجدت الذّات المثقفة العربية نفسها أكثر عرضة للاخ تبار والامتحان ،فالواقع العربيّ يقف لها بالمرصاد يختبر كلّ الدّواعي ويمتحن كلّ المعطيات وهو في كلّ أثناء ذلك يتّخذ من المرجعية الشّعبية سبيلا واقعيا لامتحان جدوى المقولات الفكرية والنقدية .

وخلال كلّ هذه الرهانات فقد ظلّ الناقد العربيّ يؤجّل معاينة الواقع متّخذا من الممارسة النقدية سبيلا وغاية مشاكلة للممارسة الإبداعية الأخرى ، ومن ثمّة فقد انجرّ عن هذا التّشاكل بين النقد وبين الكتابة الأدبية رؤية نقدية تجريبية ظلّت تومئ إلى الحقيقة ولا تقوى متجرئة على لمسها عيانا.

لقد ظلّ تفعيل المصطلح النقدي الحداثي مرهونا بما يصدّقه من القراءات الفلسفية والواقعية التي تعتمد قياس الواقعين السياسي والاقتصادي سبيلا لتطبيع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحسّ وترسيخ التّجربة ، وقد كان كفيلا بهذه المرحلة أن تطرح رؤيين هما ممارسة المصطلح أو توظيف المصطلح من حيث اشتمال كلّ غاية من الغايتين على مؤدّى دلاليّ قوامه ترسيخ التّجربة النقدية العربية أو تهميشها ، وقد كان لزاما على من يخوض عوالم النقد الأدبي العربيّ الحداثي أن ينشغل بالبحث عن الطاقات النفسية والعقلية والواقعية التي تمدّه بمشروعية الانفعال بالقيم النقدية الاصطلاحية ، وهل ممارسة الحداثة كمصطلح إلاّ تجميع الصيغ الاصطلاحية الجامحة جموع الذات العربية عن تسمية الواقع الذي ظلّ يفتقر إلى دعامات عربية هي التي تمدّ الحسّ الأدبي بمسوّغات التفكير النقدي الحداثي المشروع ؟ وهذا ممّا يؤكّد أنّ مصطلح الحداثة لم ينتشر إلاّ منذ منتصف السّتينات ، وربّما تفاوتت التجارب العربية في بلوغ أسباب الانفعال بالمصطلح النقدي الواحد تبعا لتفاوتها في ترسيخ التّجارب واكتساب النضج الفكري المؤهّل لذلك .

وبالنّظر إلى حدوث النزوع النقدي الانفعالي المنجرّ عن التّوتّرات الفكرية والنّفسية للأدباء العرب فقد تحتّم على السّلوك الثقافي المتموقع في أتون تلك الخلافات أن يتأثر الجوّ العامّ لرقعة التّوتّرات الأيديولوجية ومن ثمّة فقد تولّد تفكير نقدي تبريريّ قائم على بذل المسوّغات واصطناع المبرّرات التي تقف دائما مدافعة عن الانبثاقات التفكيرية المستجدّة ، وقد كان لزاما على الناقد الصّادر عن حسّ هذه المرحلة الأدبية أن ينطبع بما هو مفروض عليه من خارج التّجربة الحقيقية للنقد الأدبي العربيّ الحداثيّ ، وعلى أوثق تقدير فإنّ المغامرة النقدية مثلما تجلّت في الريادة الأدونيسية فقد أوجدت لها دعامات إبداعية تحمل مشروعها المستقبليّ المخترق للرّاهن والمناقض للماضي ، وبناء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على هذا التوجّه الذي غلب طويلا على سيرورة النقد الأدبي العربيّ الحداثي فقد طفق كلّ زاعم يتّخذ من القناعات التراثية حقلا خصبا للاسقاطات القرائية التي تجتهد من أجل ليّ الأحكام التراثية وتصييرها قابلة لحمل الطروحات الحداثية الأكثر ثورية ، وقد كان لزاما على كلّ مسعى نقدي هذه وجهته أن يرتدّ ويتحوّل إلى إبداع حول الإبداع[109] في شكل تواصل دائريّ جدلي قد يغدو في حال التّأزّم لاجئا إلى امتلاك الطاقات الأعلامية من جرائد ومجلاّت ومنابر مثلما قامت بذلك مجلاتّ : الطليعة الأدبية العراقية ، والموقف الأدبي السورية ، وكذا الآداب اللّبنانية بامتياز ، إلى جانب إسهام مجلّة شعر التي نشّط فصولها الشّاعر المتمرّد (علي أحمد سعيد) أدونيس .

لقد كان لزاما على النّقاد الحداثيين أن يتقنوا لعبة الإصطلاح باعتبارها بوّابة الولوج إلى الدّرس النقدي الحداثي ولا سبيل إلى تفاديه ، ولو قرّنا مناط التّحوّلات وثمّناها لألفيناها تلفّ دائرة حول مقتضيات أدبية ونقدية حاسمة لا تكاد تخطئها ألا وهي ، مسألة التّحديث الشّعريّ وثمّة مستتبعات قوامها دراسة التّشكيل بما يوافق الدّراسات النقدية الإنسانية أي تلك التي تضطلع بدراسة الانفعال الفنّي الإنساني وبالضبط فقد تمحور هذا الاهتمام حول مقتضيات الانتقال من القصيدة العربية العمودية إلى قصيدة الشّعر الحرّ وبالتّدقيق إلى قصيدة التفعيلة وقد ترتّب على هذا التّحوّل جملة من القناعات الثقافية والجمالية وهو ما أوحي إلى مجمل الدّراسات النقدية الحداثية بأن تتمحور رؤاها حول جملة من المصطلحات النقدية اللاّئطة بالموضوع أو بالأحرى بهذا الحقل

[109] :ينظر ، مصطفى لطفي اليوسفي ، في بنية الشّعر العربيّ المعاصر ، دار سراس للنّشر ، 1985 ،ص: 9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النقدي الدّلالي الذي كاد يسيطر على ردهة من زمن حركة الحداثة الأدبية العربية غير قصيرة.

4-أثر ثورة المصطلح النقديّ في تنمية التفكير النقديّ :

تعتبر الثقافة الأدبية الترجمية من أهمّ الدّعامات وأهمّها في تثوير التفكير النقدي الأدبي الجديد ، وليس ذلك إلاّ لكون الثقافة النقدية الأدبية الترجمية قد أمدّت واقع الأدب العربيّ في جانبيه الإبداعي والنقدي معا بروح الانفتاح على الثقافة الأدبية الحديثة من حيث دفعت بالباحثين إلى ضرورة الاستفادة من علوم العصر الحديثة من علم نفس ، وعلم اجتماع وعلوم بيولوجية وعلوم تجريبية وإحصائية ، ولاشكّ في أنّ للأدب الغربيّ الحديث أو القريب من ذلك صلة كذلك متينة بهذه العوالم التفكيرية ، وليس الأدب العربيّ المعاصر بدعا إذا في هذا الشّأن فقد نعتبر مبالغين إذا قلنا بأنّ فلسفة الحداثة الأدبية قد صارت ، بما لا يدع شكّا للمتفكّر ، ضربا من القناعات الفلسفية المدرسية التي تحتم على مواليها بأن يختلط في تفكيره وإبداعه بكثير من معالم التفكير الأدبي الإبداعي أو النقدي مع باقي أدباء العالم ، وقد تقوّى هذا التّوجّه وتنامى مستفيضا خفائقه على أدباء العالم والعلم العربيّ خاصّة ، ومن المؤكّد بأنّ النّزوع النقدي الاصطلاحي قد صار أحد أهمّ تلك المعالم الثقافية القوية التي صارت عامل تقريب والتقاء فيما بين مختلف الاسهامات الأدبية والنقدية الحديثة ، ولو تتبعنا آثار التّوجّه الترجميالعلمي لألفينا هذا المسار أو هذا التّوجّه لمّا صار غالبا قد اختطّ لنفسه المسار التّأثيري الأقوي فيما بين التّجارب الثقافية الإنسانية ، وقد كان من الواضح والراسخ أن يعمد التفكير النقدي وكذلك الإبداع الأدبي مؤتمّا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتّجارب الحضارية والإنسانية الأخرى وكيف لا يكون كذلك وقد صار العالم متشبّعا بقناعات إجرائية جديدة تحثّ كلّها على التّعاون والتّواصل والتّصاهر فيما بين جميع الثقافات الإنسانية العالمية حيث لم تعد عقدة تعيق أيّ تعاون في ذلك المضمار ، على خلاف تحسّس التّجارب الأدبية القديمة أو الكلاسيكية من مزية تأثر التّجارب الأدبية الأخرى من حيث كانوا يعتبرون ذلك الإجراء عامل ضعف وتأزّم واحتباس في الطاقة الإبداعية، وبحسب تأمّلنا وتفكّرنا في مسار المعالجات التي يقتضيها موضوع صلة النقد الاصطلاحي بفنّ الترجمة وآليات الاقتباس من علوم الآخرين أن صار من المغبط والمريح أن تمتدّ تجارب الآخرين لتخالط تجارب الأمم الأخرى .

وبفضل هذا التفاهم الحضاري فقد غدا توظيف الإجراء الاصطلاحي بمثابة الشهادة التسجيلية التي تحفظ للهوية الإبداعية مصادرها الحضارية بامتياز فالتّرجمة في أبعد مراميها وأعمق تفاعلاتها (... مرتبطة بقناعات مختلفة تتوقف على زوايا تسمح بتحديد مكونات الشّكل ...)[110].

5- ثورة المصطلحات الشّعرية:

لعلّنا لا نبالغ إذا قلنا : إنّ توليد النقد الاصطلاحي قد ظلّ مرتبطا بمدى توافر المحفّزات الإبداعية المحيلة عليه ، ونحسب بإزاء هذا الإشكال أنّ الممارسة الأدبية بقدر غنائها ستكون كفيلة بإثارة المحفّزات التفكيرية الملقية بالوعي النقديّ الحديث إلى جهة الاضطلاع بتناول المواضيع النقدية النظرية

[110] :غيثري سيدي محمد ، الأسس المنهجية لترجمة النّصوص الأدبية في ضوء الرؤى اللّسانية ، مجلة المترجم ، ع: 01 ، جوان 2001 ،ص:68

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منها والتّطبيقية جهة المواضيع الناهضة من حقيقة ذلك الاهتمام ، وبالمناسبة فإنّ في إمكاننا القول: إنّ الكتب الرائدة في بحث النقد الاصطلاحي مثلما بدت لدى الناقد عزّ الدين إسماعيل ظلّت تتّصف بالمبادرة النقدية الاجتهادية أي تلك التي تبدو هوامش صفحات كتابتها خالية من الإحالات إلى حدّ مرموق ، وقد تلاءم مع هذه الحقيقة المنهاجية كون الذين عبئوا بالكتابة في النقد التّأسيسي أن يكون من الضّروري بهم التماس الغايات التنظيرية المحيلة على بحث لإشكال المصطلح النقدي الحديث ، وقد ألفينا عزّ الدين إسماعيل يعلن هذا بكلّ وضوح حين عنون بعض فصول كتاباته بالمصطلح الجديد .. عرفانا منه بأنّ المصطلح النقدي هو أثر تداولي قديم غير أنّه صار أحد تقاليد أو شروط ولوج الثقافة النقدية الحديثة ، وقد قدّم الباحث اهتمامه بالمصطلح قائلا :(اللّغة هي الظاهرة الأولى في كلّ عمل فنّيّ يستخدم الكلمة أداة للتّعبير، هي أوّل أداة تصادفنا ، وهي النافذة التي من خلالها نطلّ ومن خلالها نتنسّم)[111].

غير أنّ عزّ الدين إسماعيل حين أحال على موضوع المصطلح الجديد كان لا يعني موضوع المصطلح النقدي بقدر ما عنى وأحال على ألفاظ مفتاحية صارت لها صداها في عالم الكتابة الشّعرية الحديثة ونقصد بذلك عالم الترميز الأسطوري ، فقد دأب الشّعراء المحدثون على توظيف كلمات محورية تحيل بتركيزها الدّلالي على تجربة أسطورية بالغة التّعقيد ، وافرة الحسّ الفلسفي ، وقد استفحل توارد الشّعراء في مضماره حتّى غدت موضة العصر لا يؤبه بمن أهملها.

[111] : دعزّ الدين إسماعيل ، الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنية ،ص:173

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى خلاف ما أتى في مضامين المعالجة النقدية والموضوعية لكتابات عزّ الدين إسماعيل فقد أتت كتاباته مرتكزة على توظيف اصطلاحي ظاهر قوامه أن تحمل عنونة فصول الكتب النقدية الواقعة في دائرة الاهتمامات النقدية الحديثة على عناوين من مثل : الالتزام والثورية ، أو الرمز والأسطورة ، أو معمارية القصيدة أو النزعة الدرامية أو ظاهرة الحزن وهو في سياق ذلك الاهتمام لا يكاد يفارق ما عرف عن العصر الحديث من سعي دؤوب لتوفير المنهاج والمصطلح النقدي الذي يخدم ذلك التّوجّه ويرسّخه ويؤكّده.

لعلّ الذي لا خلاف حوله هو أنّ الإجراء النقديّ الاصطلاحي ظلّ البوّابة الحقيقية لدى أيّة رغبة في مداخلة الثقافة النقدية الحديثة ، وحتّى لو أنّنا أقررنا بأنّ التراث العربيّ في حيّز اعتبارات النقد الأدبي كان قد وظف المصطلح البلاغي والبديعي مركّزا عليهما باعتبارهما ناشئين عن مطلب نقديّ ضروريّ صار يحضر بإلحاح خاصّة فيما يتعلّق بدراسة الفنيات والجماليات الشّعرية فالتّناول المنهاجي يدفعنا إلى القول:إنّ استعمال المصطلح النقدي وفق الشّروط الثقافية المستجدّة قد صار يعوّل عليه في ضوء التّجارب الأدبية العربية الجديدة ، وبإزاء هذا التّشبّع المنهاجي الذي ظلّ يفرض الفكرة والمنهاج بل يتعدّاهما في كثير من الأحيان إلى بثّ الإقناع والاحتفال بكل ما هو وارد من جهة الثقافة الأدبية الحديثة فقد تطوّر نهج النقد الاصطلاحي مفرزا تقاليد ثقافية وعلمية سواء أكانت نظرية أم تطبيقية صارت هي المغلّفة لكلّ نية في ذات التوّجّه ، وبالنّظر إلى رسوخ الاعتبارات الثقافية العاملة على ترسيخ قيم نقدية بعينها فقد صار من المألوف ذهاب كثير من النقاد والمؤلّفين إلى توشيح مساهماتهم النقدية بالملحقات المعجمية التي تعبأ بتقديم الجهود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النقدية الاصطلاحية التي كانت محور التّأليف أو الدراسة الأكاديمية ، ولقد اهتممنا بدراسة هذا الحسّ الترجمي الاصطلاحي فألفيناه ظاهرة مترسّمة غالبة فهي لدى مهدي أسعد عرار متشخّصة في توظيف ملحق معجم المصطلحات[112] حيث يأخذ هذا الإجراء التّكميلي لثقافة الكتاب بعدا منهاجيا يحيل في نهاية الدّراسة على ما يعتقد الباحث بأنّه سيظلّ يشكّل عائقا معرفيا أمام مطالع الدّراسة ، وقد نراه يضطرب مليا في تعريب أو ترجمة بعض دلالات المصطلحات الأجنبية مثلما هو الشّأن لدى وقوفه على دلالة affix ، حيث أعطاها بعدا ترجميا يتوسّع لفظيا إلى ما يفوق التقدير اللّفظي الخاصّ بدلالة هذا المصطلح في اللّغة الفرنسية فقال: إضافة تضاف إلى الكلمة في أيّ موضع منها[113] ، وربّما عنى بذلك التّوابع أو الملحقات اللّفظية التي كثيرا ما تنشط وظائفها التركيبية في اللّغة العربية ، ومثلما يبدو للمطالع للملحقات المعجمية الاصطلاحية التي احتفلت بها كتب النقد الأدبي العربيّ الحديث فالتّخريج المعرفي أو الثقافي لسلسلة المصطلحات المسرودة يبدو أنّه ينهل من معين الأصول الأجنبية لثقافة النقد الاصطلاحي الغربيّ فلا تبدو الكلمات العربية سوى مجرّد ترجمة أمينة لأصل الكلمة المعجمية في دلالاتها الأجنبية ، ولو عمدنا إلى استعراض مجمل الكلمات الاصطلاحية المترجمة لألفيناها منسردة وفق اهتمام بحثي لا يصبّ بالضّرورة في خلاصة ثقافة التّأليف الذي ينتمي إليه الملحق المعجمي فبالنّسبة لمؤلّف جدل اللّفظ والمعني رأيناه يتماهى إلى جملة من الاستعراضات الاصطلاحية التي تتشخّص وفق اهتمام معجمي

[112] : جدل اللّفظ والمعنى ، دراسة في دلالة الكلمة العربية ط1 ، دار وائل للطّباعة والنّشر عمان الأردن 2002 ص265.

[113] : جدل اللّفظ والمعنى ، ص: 265

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علميّ هو:مجرّد تجريدي ، حدث ، مكتسب ، خطاب ،غموض ، شبه الترادف النظرية السلوكية ترادف كامل ، سياق ، سياق الحال ، خلق إبداع ، تطور ، لهجة ، تعبير ، صيغة ، محدّد نحوي ، الدراسة اللّغوية التاريخية ، مشترك لفظيّ ، معنى : تعميم معنى تغير المعنى ، تخصيص المعنى ، رقي المعنى ، مجاز اتّساع مجازيّ ... ثمّ تنتقل السلسلة التّعريفية لتطال مقامات دلالية أخرى مجانسة للسلسة التي تسبقها من مثل: فقه اللغة: فونيم ، علم الأصوات اللّغوية ، استجابة ، تطور دلالي ، علم الدّلالة ، علامة ، حدث كلاميّ ، نبر ، اللاّمس ، صورة لفظية ...[114].

والحقيقة أنّنا لو استعرضنا جهود القدماء فيما يتعلّق بالقضايا النقدية التي دأب الباحثون على وسمها بالعلمية والأكاديمية والمنهاجية لقلنا: إنّ لكلّ معرفة قديمة لا تخلو من أن تكون قد تركت لنا متنفّسا معرفيا يكفل لها حقّ الولوج إلى أفهام الأجيال الجديدة ، وبالرّغم من أنّ كلّ قديم كان بالطبيعة جديدا في عصره إلاّ أنّ الذي يبحث عن الآصرة الروحية او العقلية بين ما هو قديم وبين ما هو محدث فإنّه لا يعدم أن يقف على كثرة الدّلالات والإشارات التي تبرهن على أنّ سياق التفكير البشري أو الإنساني هو واحد وإنّما الأفكار هي التي تتسطح أو تتعمّق بفضل ما يسعفها به الواقع من التّصديق أو التّكذيب ، والنّقاد على اختلاف مشاربهم التفكيرية والروحية لا شكّ في أنّهم انبروا منذ القديم يطالبون بالجدّة ويحتفلون بقيم الإبداع والتّجديد وليس ذلك إلاّ لكون النفس البشرية في طبيعتها وجبلتها مفطومة على حبّ الطرافة تستأنس بكلّ مستجدّ ،

[114] : ينظر ، جدل اللفظ والمعنى ، دراسة في دلالة الكلمة العربية ، ط:1 ، دار وائل للطّباعة والنّشر عمان الأردن ،ص: 265/266/267.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد دأبنا خلال بحث المصطلح النقدي على البحث المستمرّ عن مقوّمات التفكير النقدي في أصوله العلمية والمنهاجية حيث يتبيّن لنا أنّ النقد الأدبي مهما بولغ في توصيفه بالعلمية واشتط به في تطلّب الغايات التفكيرية الموضوعية فإنّه لا يخلو من أن ينتسب دائما إلى أصوله الانفعالية التي تبين لنا أنّ التفكير النقدي لم يكن في يوم من الأيام سوى سلوك إبداعي كان شبيها بابتداع النصوص وارتجال الخطابات البلاغية، ولذلك فإنّنا نتصوّر الموضوعية النقدية على أنّها مجانسة للموضوعية الأدبية ولن تبلغ بأي حال من الأحوال يوما موضوعية العلوم الدّقيقة لأنّ في بلوغها ذلك الاكتمال الواهم قتلا لجاذبيتها وإجهازا على إيقاع حيويتها التي تجتذب القراء إلى مطالعتها والاحتفال بها (وهذا المنهج العلمي الخالص كان له أثره في مختلف الميادين الثقافية ، لم يلبث أن طبعها بطابعه، وأملى للعقول في البحث والنّظر ، فكان دعامة الثقافة الحديثة التي لا نزال نعيش في أعقابها)[115] .

لقد كان حسّ التّجديد المفعم بالتوق كافيا لأن يستنهض همم كثير من الأدباء والمفكّرين العرب لينـدفعوا ملبّين كلّ صوت هادف إلى الابتكار والمغايرة ، ونحسب أن حس الثقافة النقدية الاصطلاحية كان يسكن جوهر هذه الروح الجديدة ، وربّما فاق هذا الاهتمام النقدي العميق الواسع جلّ الاهتمامات الأدبية الأخرى على الإطلاق فصار بعض الأعلام يصطنع تلك الشخصية الثقافية والعلمية استئناسا بما صار يقدّمه هذا التّوجّه من المكانة والتمكّن .

[115] : د. حلمي مرزوق ، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث ، في الربع الأول من القرن العشرين ، ص: 335.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يبحث خصوصيات المرحلة التي سجّلت ثورة الانتقال من التفكير النقدي الأدبي العربيّ القديم إلى مداخل التّحديث النقدي لا يعدم أن يلقى كثيرا من الأصوات الفكرية والمحاولات النقدية سواء أكانت نظرية أم تطبيقية يستطيع أن يتّخذ منها علامات أو سمات لتمتين رؤيا التّحوّل الحضاريّ الذي بات يفرض نفسه على كلّ مساهمة نقدية أدبية عربية جديدة، ولقد بادر مصطفى ناصف إلى افتتاح مشروع تحديثي آل فيه على نفسه أن يعيد قراءة المقروء فيصبغه بمحاولة التنظير النقدي الأدبي الجديد نزع خلالها إلى استظهار قوى الإبداع التي يتوافر عليها الحسّ الحضاري العربيّ ، وقد كان من الطبيعيّ أن يتصدى مصطفى ناصف إلى محاولة الكشف عن المقدّرات الإبداعية التي توافرت للحسّ الإبداعي العربيّ بالطّبيعة وقد سرى ذلك الهاجس على جميع رؤياه البحثية التي تتابعت بحوثها وفق اهتمام محوريّ ظلّ يشكّل هاجسا قويا وقد ركّز التّحوّل الجديد مليا على أهمية المبادرة الفردية أو روح المغامرة والمكاشفة فقد أصبح الفرد العربيّ وفق حصول التّجارب الحياتية مؤهّلا لأن يغامر في احتمال الرؤية الحضارية المناسبة لموقعه وموقفه معا (...فالوجدان الفردي لا شيء أسبق منه ، والموجود لا وجود له بمعزل عنه ، إنّه هو الذي يزيد الموجود وجودا ، وهو وحده القادر على الرؤية والتّأويل ...)[116] ، وليس أفضل من روح المبادرة في الانقضاض على معطيات الواقع وتسميتها التسمية الاصطلاحية التي تحدّد فاعليتها في الواقعين المعنوي والماديّ معا ، ونحسب أن الواقع الثقافي العربيّ قد كان في حاجة ماسّة لامتلاك هذه الشجاعة المؤهّلة لريادة الأفكار والاستفادة من كلّ الهواجس

[116] : د. مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ط:2 ، دار الأندلس 1981 ،ص: 19

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتّصوّرات و لعلّها الثروة والثورة اللّتين أهّلتا الحسّ العربيّ لتّعاطى الواعي مع المسار النقدي الاصطلاحي ، حيث صار الحيّز الاصطلاحي يحتلّ المكانة المعتبرة لدى تعدّد التجارب والقراءات النقدية سواء أكانت من النوع المكاشف المغامر أم كانت من طبيعة ذلك النقد الأدبي العربيّ المدرسي الذي بدأ يترسّم ويتدعّم وفق الخصائص الثقافية العالمية الإنسانية التي شجّعته على مخالطة الفكار العالمية بعد تبنّي منهاج الثقافة الإنسانية العالمية الذي صار يفرض نفسه وفق المعطيات السياسية والاقتصادية التي صارت بدورها تحتّم على الفكر العربيّ الحديث ضرورة التّواشج مع التّجارب الإنسانية الأخرى.

6-موالج الدّرس النقدي الحداثي:

لا ضير أنّ كلّ سياق دراسي نقدي لا بدّ أن يستند إلى المقوّمات النّظرية التي تصدّق وجهته النّظرية ، وتمنحه الأبعاد الموضوعية المؤطرة لجدوى طروحاته الفكرية ، وانطلاقا من تحسّس هذه المظانّ المتعلّقة بموضوع إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربي المعاصر فإنّ الذي نراه كفيلا بالمزاولة والمعالجة هو مدى تشبع التفكير النقدي الأدبي الحديث بمعطيات الحداثة ذاتها ، لأنّنا نعتقد شبه جازمين أنّ كلّ نظرية نقدية جادّة لا بدّ من أن توفّر لنفسها المسوّغ التاريخي والموضوعي الذي هو عامل من عوامل تقوية المنطلق وترسيخ دعاوى طرح المشروع الفكريّ المتخيّر من بين جملة من الاهتمامات الفكرية المطروحة على أرض الواقع.

وإذا كان عبد السّلام المسدي من أبرز الأعلام النقدية العربية التي اشتغلت على بحث موضوع الكيفيات والأساليب التي تسوّغ النّزوع إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجريب التفكير الأدبي والنقدي الحداثي فإنّنا نستيقن أنّ الحداثة الأدبية العربية ومنها الحداثة النقدية مهما اكتسبت من الخبرة سوف تبقى في حاجة إلى عودة أقلام فرسانها لتكريس التفكير النقدي الحداثي الذي يعاود في كلّ مناسبة طرح إشكالية الحاجة إلى التفكير الأدبي الجديد ، وكذلك الاهتمام بالمساءلات الفكرية القاضية بمزاولة التفكير النقدي الأدبي المستجدّ ، والذي لا سبيل إلى إغفاله في هذه المناسبة أنّ جلّ النقاد العرب الذين يعتبرون من المؤسسين الشّرعيين للتفكير النقدي الأدبي الحداثي ، لم يستطيعوا مغادرة الإشكاليات النّظرية التي تعتمد منهاجا لتغطية نفس المنطلقات النّظرية التي ستظلّ تؤسّس لحداثة نقدية أدبية عربية من الأعسر عليها أن تكتمل أن تتبلور بعيدا عن مشاكلة الثقافة الأدبية العربية الجديدة لصورة حركية الواقع العربيّ على جميع أبعاده .

وبحسب ما استقرّ في علمنا من التقديرات النظرية للمسائل المتعلّقة بموضوع أثر النّزوع الاصطلاحي في التفكير النقدي الأدبي العربيّ المعاصر فإنّ بعض إشكال تأسيس رؤية المنطلق قائم على مدى استيعاب التفكير النقدي العربيّ لخصوصيات المسائل التفكيرية في ذات الحقل والتي يجب على الوعي النقدي أن يميّز ما بين صورها وقيمها الثابتة منها والمتحوّلة المتغيّرة ، خاصّة وأنّ الأمر متعلّق بمسائل ثابتة يفرض انتماؤها المعرفي الإنساني طبيعة خضوعها لنمطية تفكيرية لا سبيل إلى تجاوزها باعتبار تلك القيم والأفكار والمبادئ ممثّلة لهوية حسية لا سبيل إلى تبدّلها ، ونعني بالقيم الثقافية الثابتة تلك القيم التّوقيعية التي تتوشّح بها مختلف القيم التي تعتمد سبيلا للتّعبير الفنّي والجمالي ، لأنّ ما كان من تلك الذّوات والأفكار صادرا عن حقيقة حسية وهي المتّصلة بالروح والحسّ والشّعور فلا سبيل إلى تزويرها بل الأحرى من ذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السّهر على احترام دوام سيرورتها بين التّجارب الفنية سواء القديمة منها أم الحديثة ، غير أنّ الإشكال الذي يجب الاضطلاع بمناوشته قائم في موضوع متحدّد بطبيعة زاوية الرؤية أو طبيعة التّناول حيث يقوم التفكير العلمي المنهاجي المشتغل بتداول النّظريات النقدية الأدبية الحديثة ببثّ التفهّمات الموضوعية الملائمة لطبيعة الرؤية النقدية الجديدة ، وبناء على السّعي الحثيث لبذل جهود تفهّم ما يكتنف هذا الطرح الشائك فقد اضطرب نقاد الأدب العربي خاصّة منه الواقع في دائرة الاهتمام الحداثي في تحديد الوظيفة اللّغوية ، لأنّهم باتوا يدركون أكثر من أيّ وقت مضى أنّ الغاية الإبداعية الحداثية التي هي تركّز عميقا في استنهاض القيم التّوقيعية الأصيلة سيمرّ بالضّرورة باسترجاع الأدبية العربية الحداثية للتّراث اللّغوي العربيّ ولكن بصورة تكون أكثر استيعابا للمفاهيم والأدوات المرجعية الحقيقية انطلاقا من صورتها الأدائية الأولية التي أنتجت النّموذج الأدبي الجاهليّ .

وبحسب ما اجتمع من وعي الظاهرة النقدية الاصطلاحية التي من أبرز غاياتها أن تتلبّس إشكالات الثقافة النقدية التّنظيرية فإنّ الناقد الأدبيّ العربيّ الذي اختصّ بمزاولة هذا النّهج الإجرائي قد أصبح في أوثق تجلياته الثقافية يشترط ضرورة الإلمام المعرفي الشامل لتحوّلات القضية النقدية الواحدة ، لا لشيء إلاّ لأنّه يعتقد أنّ لإحكام المعرفة اللاّزمة بسيرورة القضية الاصطلاحية الواحدة متطلّبة لمجموعة من المعارف المنهاجية التاريخية المتتابعة والتي لا يمكن القفز على مراحل تكوّنها التاريخي ، إذا فلا سبيل لحرق المواقف والمراحل والأجدر بكلّ ساع ذات المسعى أن يستوعب الثقافة النّقدية الأدبية المحكومة بقيم تحوّلية ثابتة في الموضوع النقدي الواحد ، والتي لا يمكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إغفالها، وقد أسموا تلك المزاولة بالرؤية النقدية الشّمولية[117] ، وقد يتأكّد هذا المسار الاستيعابي حينما يتعلّق الأمر بالثقافة النقدية الاصطلاحية حين نعي حقيقة المصطلح النقدي في الأدب العربي المعاصر خاصّة عندما يتعلّق الأمر بتتبّع ظاهرة نقدية مسكونة بفاعلية التّحوّل الثقافي الذي من دواعيه أن يظلّ مرتبطا بحركية الإبداع الفنّي .

ولذلك فقد كان من أبرز المظاهر النقدية الاصطلاحية التي لامست هذه الغاية مسألة المفاضلة النقدية الاصطلاحية ما بين قضيتي الصّورة الفنية أو الصورة البلاغية وهما مسألتان منطرحتان بكل ضرورة وجدوى من حيث مدى وظيفيتهما ونجاعتهما في تحريك كثير من الفعاليات التفكيرية في حقل الدّراسات النقدية الأدبية الحديثة ، فلقد بات النقاد العرب محتارين أمام صيغة التّناول النقدي التي يفضّلونها حيال المستجدّات الإبداعية الأدبية خاصّة ما قد يتعلّق منها بالمذاهب الفنية المستجدّة في حيّزي ابتداع الشّعر أو النثر القصصي والروائي العربيين الحديثين.

ولأنّ الأداء الذي هو متعلّق بحسب تصوّرنا باللّغة والأساليب وآليات التّعبير الأدبي العربية بقيت راسخة المرجعيات بينما تنامت القناعات النقدية النّظرية والتي يحتلّ منها النّزوع الاصطلاحي مجالا معتبرا ، ولم يجد النقاد العرب أفضل وسيلة لفضّ إشكالات الخلافات الثقافية إلاّ باللّجوء إلى علم المصطلح النقدي الذي أمدّ الثقافة النقدية الأدبية الحديثة بمسوّغات الاشتغال على مقوّمات الرؤية النقدية الأدبية المندرجة في إطار روح الرؤية التّحديثية التي صارت الثقافة الأدبية العربية تتحمّس لتبنّيها، وتبعا لهذا الاهتمام قد غدا

[117] :ينظر ، سعيد بن زرقة ، الحداثة في الشّعر العربيّ ، أدونيس نموذجا ،ص: 143

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التفكير النقدي العربيّ منساقا وراء استنهاض الاهتمام البالغ الفعّال بما يسمّى بنظرية الأدب [118] .

7المائز المنهاجيّ بين المصطلح النّظري والاصطلاح التّطبيقيّ :

ونرى أنّ من الجدير والأنسب خلال هذا الموضع من سياق بحث الأثر الاصطلاحي في حداثة النقد الأدبي العربيّ أن نسرع إلى التّمييز ما بين سياقين علميين فيما يتعلّق بالإجراء النقدي الاصطلاحي ألا وهما سياق المصطلحات النقدية النّظرية ، والآخر هو سياق المصطلحات النقدية الأدبية التّطبيقية .

ونرى أن الاختلاف بين جدوى النّمطين الاصطلاحيين المذكورين يكمن في كون المصطلح النقدي النّظري عامّا شاملا يتمتّع بالرؤية النقدية التنظيرية المتعلّقة بتذليل التفكير النقدي التّعريفي المتّصل بالقضايا النقدية المدرسية والفلسفية والمذهبية ، ويكاد ينحصر في معجمية هي أكثر أسبقية في تداولية الثقافة النقدية الأدبية العربية الحديثة ، ووفاقا لهذا الاختصاص المنهاجي فقد ألفينا مجموعة من المفكّرين والنّقاد العرب يختصّون في تأليف الموسوعات العلمية والثقافية المتعلّقة بميدان الدرس النقديّ الأدبي مثلما تجسّد ذلك الإنجاز العلمي لدى نبيل راغب الذي شمل التّجربة وعرّفها ونظّر لها انطلاقا من كتابه الموسوم بـ"موسوعة النّظريات الأدبية" ، وقد تمحور الاهتمام البحثي حول القضايا النقدية النّظرية الجوهرية من مثل المفاهيم التالية: الأسلوبية ، الأنثروبولوجية ، الانطباعية ، التّجريبية ، التّجريدية ، التّعبيرية ، التفكيكية ، التّكوينية ، التلقائية ، الجذرية ، الحداثية ، الرمزية ، وكلّ ما يمكن أن يندرج

[118] : ينظر ، د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، دليل النّاقد الأدبي ،ص:183

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من التّسميات الاصطلاحية التي تقع في ذات نسق الاهتمام ، ومثلما هو ظاهر من خلال استقراء العيّنات الاصطلاحية فإنّ الجهود النقدية الموسوعية التي تبنّت وجهة معجمية على شاكلة ما ألفينا لدى نبيل راغب فإنّ هذه الرؤية العلمية ظلّت أسيرة المعرفة النقدية الأدبية التلقينية تبعا لكونها اشتغلت على تقديم المصطلح المذهبي أو المدرسي الغربيّ ، أضف إلى ذلك فإنّ جلّ الجهود المبذولة في هذه المحطة الترجمية من سياق الثقافة النقدية الأدبية ظلّت تحتشد حول الرؤية الإبداعية أي تلك التي تقدّم التّعريفات الفكرية والفلسفية والعلمية أو الاجتماعية والسياسية لمذاهب إبداعية عالمية معروفة ، والتي لاشكّ في أنّها كانت من بين المبادرات الأدبية الرائدة في تجريب تحديث الأدب العربيّ الجديد[119].

ولقد كان جديرا بهذه الجهود النقدية الاصطلاحية التعريفية أن تغرف من معين فورة الصّراعات السياسية والمذهبية التي غذّت أوليا أدب الحداثة العربية إذ (... لا شكّ أنّ النقد الأدبي قد عانى التّناقض الحتمي بين مختلف الأيديولوجيات لأنّها تفترض في نفسها دائما أنّها عقائد يقينية لا تقبل التّشكيك أو الجدل أو الالتقاء في منتصف الطّريق ...)[120] .

وبالنّظر إلى ضرورة حصول التّوافق الإجرائي بين المصطلح النقدي وبين الظروف الثقافية والمعرفية التي أوجدته ،فإنّ الخصوصية الاصطلاحية قد تتّخذ من تلك المناسبات التّوليدية قيما معرفية بالغة الحساسية ، لأنّ هناك مصطلحات ولدت مثلا وسط ظروف فكرية ستظلّ تطبع القيمة التّداولية

[119] : ينظر ، د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، دليل النّاقد الأدبي ،ص:84
[120] : د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، دليل النّاقد الأدبي ،ص: 84.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللاّئطة بالمسوّغ الظرفيّ الأوّل الذي أنتج الفكرة النقدية المتركّزة في صيغة التسمية الاصطلاحية وهذا (... التّوليد في اختيار ألفاظ اللغة أو توزيعها أو تحويل علاقة بعضها ببعض كما في الجهاز هو الذي يسمح بأن نستخرج من النّمط التّعبيري المتواضع عليه صورة جديدة إمّا بخرق المألوف أو باللّجوء إلى ما ندر من الصيغ ...)[121] .

لذلك يبدو أن من أسرار إنتاج الصيغة النقدية الاصطلاحية أن تكون الصيغة اللّغوية المحتضنة للمسمّى الجديد متمتّعة بقابلية للانعزال عن صيغ الاستعمالات اللّغوية التّعبيرية العادية ، وبالتالي فإنّ في إمكاننا تصور مدى الإشكال اللاّحق بهذا الاعتبار الانتخابي لجذر المادّة اللّغوية المشتقّ منها المصطلح النقدي (... فهذا التّصرّف في كسر المألوف إنّما هو ضرب من الاصطلاح الجديد الذي يقوم تلقائيا بين واضع النّصّ ومتلقّيه ، ولكنّه من جنس الاصطلاح الذي لا يطرد ، لأنّه ليس من طبيعة المواصفات اللّغوية الأولية...)[122]

لقد كان إشكال عثور التفكير الأدبي النقدي العربيّ على مصداقية المولج إلى ثقافة الحداثة عاملا من عوامل الاستعانة بما يشبه تبنّي الموقف السياسي الذي من خصائصه الإجرائية أن تتحدّد فعاليته الوظيفية من خلال إعلان ما يمكن أن يشبه البيان الثقافيّ ، وهو عين الإجراء الذي تبنّاه أدونيس في إصراره على نهج خطّ الحداثة الأدبية عبر شقّيها الإبداعي الخطابيّ والتّنظيريّ ، ولم يكن نزوع أدونيس هذا المنزع بوارد مورد العبث ، بل كان يحضر وفق

[121] : د. عبد السّلام المسدي ، النقد والحداثة ،ص: 41
[122] : د. عبد السّلام المسدي ، النقد والحداثة ،ص: 42/41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منظور ثقافيّ يأخذ المعطيات الواقعية العربية بعين الاعتبار ، فقد عجز المبدعون العرب في بذل أسباب مداخلة الإجراءات التّحديثية بالنّظر إلى ما كانوا يفتقدون إليه من مبرّرات واقعية تغطي مرحلة الانتقال على الأقلّ ، لذلك ارتأى كثير من المنظرين لمبادئ تحديث الحياة العربية بكلّ مستتبعاتها الحركية أنّ الحداثة هي إشكالية المجتمع العربيّ الرئيسة[123].

ولعلّ أهمّ مصداقية استحوذ عليها مشروع الحداثة الأدبية العربية هو وروده المورد الأنسب بالنّظر إلى الحوافز الواقعية التي كانت تدعو الحسّ العربيّ والوعي معا بإلحاح لتجريب هذه النقلة ، هذا وربّما كان من بين ما سهّل بعض مظاهر الاندماج في فلسفة الحداثة العربية أنّ الأدبية العربية منذ تجاربها الأولية القديمة مسكونة بالتّحفّزات والموثبات التي تكرّس الذوق الفنّي والجماليّ المتجدّد ، فبوقوع الأدبية العربية هذا الموقع المناسب من آليات تطلّب الحداثة كان النّزوع إلى مجاذبة معالمها التفكيرية والإبداعية سبيلا لتسهيل مراحل الانخراط في هذه الفلسفة العالمية الإنسانية التي لا بدّ من أن يعترف الباحث بأنّها صارت تفرض نفسها على كلّ الثقافات الإنسانية الجديدة، وقد نكون في غنى عن أن ندلّل على مدى ارتباط مفهوم الحداثة بالمعاصرة والحضور في الشّروط الحضارية للواقع الحياتي العربيّ الجديد.

إنّ أهمّ قاعدة يستند إليها المنظور النقدي الحداثي في نظرنا هي تلك الحركية الدّائمة والتّغيّر والتّجدّد المتواصلين بدون انفصام أو انقطاع ، لذلك تبدو لنا نظرية الحداثة من هذه الزاوية وسيلة حياة لا يستطيع الوعي الإنساني

[123] : ينظر ، أدونيس ، علي أحمد سعيد ، فاتحة لنهايات القرن ،دار العودة بيروت لبنان 1980 ،ص: 220

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحـديث أن ينتمـي بصـدق إلـى روح العصـر دون أن يمـرّ بآلياتهـا الثقافيـة والإجرائية.

ونحسب أنّ الحاجة إلى توظيف ثقافة الاصطلاح النقدي صار بإزاء هذه المطالب الثقافية والمنهاجية المطلب الأعزّ الذي صار ينظر إليه على انّه الورقة الرابحة في التّحكّم في مداخلة الموضوع ، وتبعا لتحسّس النقاد هذه المزية الثقافية المتعلّقة بتوظيف ثقافة الاصطلاح فقد دأب النقاد الحداثيون على ترسيخ تقاليد المقولات النقدية ، وربّما من العبث خلوّ الدراسات النقدية الحداثية من توظيف معجمية اصطلاح النقد الأدبي ، وقد تمادوا في ذلك المتوجّه وحرصوا عليه إلى درجة صار يظنّ بأنّ مسألة ثقافة الاصطلاح النقدي صارت تشكّل عقدة يستحيل على الخائض لغمار التّداولية النقدية الحداثية أن يفتقد آليات إجراءاتها النّظرية والتّطبيقية معا ، ولنا ان نلتفت متفكّرين إلى طبيعة المشاكلة ما بين توظيف المصطلح النقدي في الرؤية النقدية الأدبية الحديثة وبين ما بات يوازيه من شأن توظيف مفردات المعجمية الأسطورية في حركة الشّعر الحرّ أو ما يسمّى شعر التّفعيلة ، حيث انتهج كلاهما مؤدّى يمكن القول عنه بأنّه مؤدّى إغرابي يحاول بثّ الإطراف والجدّة والمغايرة.

8-خصائص تجليات النّزوع الاصطلاحيّ :

يستطيع الذي يتعمّق المسارات النقدية الحديثة أن يقف مليا على العيّنات الإجرائية التي اعتمدها الناقد الأدبي الحداثي الساعي إلى تأسيس القيم والمفاهيم النقدية الجديدة ، فلقد ظلّت الموالج الثقافية متسلّحة بالتّحفّزات المعرفية التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقيت دوما في حال هجوم أو استنفار إيديولوجي يفرض نفسه على التّجربة من خارجها.

ومن ثمّة وبناء على مدى حساسية ثقافة الانتقال فقد ظلّ الناقد الأدبي العربيّ يراوح بين المصطلح الجديد وبديله التراثي ، لذلك فهو يلجأ دائما لتقديم المصطلح التراثي بصفة داعمة ومقوية للموقف التّجريبي الذي ما فتئ النقد الأدبي الاصطلاحي عالقا فيه ، ويبدو لنا واضحا أنّ النقد الأدبي لم يتخلّص من الأدوات النقدية الأدبية البلاغية التراثية بل ظلّ في أعوص الأحوال يتسلّح بمصداقيتها ، لذلك فهو لا يقدّم مفهوم الدرامي مثلا إلا مرادفا لمفهوم العاطفي ، لعلّ الصيغة الجديدة منهما تستظلّ بمكانة الأولى [124] ، وتبعا لمجمل الفرضيات التي يحتّمها تبني المصطلح النقدي أو الإبداعي فإنّ التفكير النقدي الأدبي العربيّ المعاصر في أوليات نهوضه التّكويني ظلّ عائما غائما يلجأ إلى تكثيف المترادفات الاصطلاحية فتأتي سراعا تباعا ، كأن يستعمل المقولات النقدية الاصطلاحية التي تنتظم وفق السياق الوظيفي التّحليلي التاليّ: التّعبير الدرامي ، التفكير الدّرامي ، درامية التّفكير الشّعريّ ، الغنائية الفكرية ، المنهج الدّرامي ، الفكرة الدرامية ، التّعبير الدّرامي ، البنية الدرامية ، الطابع الدرامي[125]، ويتّضح لنا لدى تأمّل السياقات الوظيفية الإجرائية التي تلوّن بها لفظ الدرامي بأنّ الناقد العربيّ المداخل لثقافة الحداثة النقدية الجديدة قد ظلّ يمارس ما يمكن أن نسمية النقد التّحليليّ الإنشائي الذي لا يتقيّد بمعالم أكاديمية ثابتة ، فهو يتّخذ من المفردة النقدية المحورية : الدرامية سبيلا لبثّ الكثير من

[124] : ينظر ، دعزّ الدين إسماعيل ، الشّعر العربيّ المعاصر ،ص:280/281
[125] : ينظر ، دعزّ الدين إسماعيل ، الشّعر العربيّ المعاصر ،ص: 284/285.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّوصيفات النقدية التّحليلية التي تحاول أن تتمركز حول الدّلالة الأدبية القريبة من الوظيفة البلاغية التقليدية .

لقد أفضى بالنقاد تحسّسهم لشروط الثقافة النقدي الاصطلاحية حسب المتطلبات الإجرائية الجديدة إلى تجريب من التّجريب الاصطلاحي الذي يحاول أن يواكب شروط الكتابة النقدية التّحليلية الجديدة ، وقد انخرطت التّجارب النقدية في شبه سلسلة من التّداعيات الاصطلاحية التي تأتي في شكلّ ثبت عنوانيّ من مثل: الانفصال ، الاتّصال ، الصورة الانتشارية [126].

وبناء على تفهّم الإشكالات المنهاجية التي اصطرعت فيها أوليات التّجريب النقدي الأدبي العربيّ الاصطلاحي فإنّنا نتفهّم معطيات هذه المرحلة التي شكّلت هواجس التّأسيس النقديّ على أنّها كانت تستهدف من بين ما تستهدفه في مشاريعها الثقافية والعلمية تكريس آليات استعمال المعرفة النقدية الاصطلاحية حيث كانت توظيف المصطلح يحتاج إلى ترسيخ آليات التّداول الإجرائي ، ومن ثمّة فإنّ استعمال المصطلح خاصّة في الاعتبارات النقدية الاصطلاحية قد بات محتاجا لجملة من المسوّغات المنهاجية التي تخوّل للنّاقد السائر في رحاب التّجربة الأدبية الجديدة أن يبحث عن بسط أسباب التقبل لدي القارئ ، فالقارئ العربيّ لم يعد ساذجا غفلا بل أصبح محط تأثيرات ثقافية عالمية هي التي كانت تستوجب على الناقد العربيّ الجديد شرط الاستعمال الصّحيح والدّقيق لآيات النقد الأدبي الاصطلاحيّ .

[126] ينظر ، محمّد لطفي اليوسفي ، في بنية الشّعر العربيّ المعاصر ، ص:92/91/90.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- نزوع النقد الأدبي الإجرائي التّطبيقيّ :

يبدو للباحث في سيرورة بحث إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر أنّ المؤدّى السياقي الذي تأسّست عليه الرؤية النقدية الأدبية العربية الحديثة كان مفروضا عليه أن يتمحور عبر مؤدّيين رئيسين أمّا الأوّل فيتمثل في الكتب النقدية التي أخذ أصحابها على عاتقهم مشروع التّأسيس النّظري للإشكالية ويتمثل الثاني من ذينك المنهاجين في الاضطلاع بتمحيص الإجراءات النقدية الأدبية التطبيقية وفي كلتا الحالتين فقد وجد الناقد الأدبي العربيّ نفسه منساقا وراء تكريس الثقافة النقدية الجديدة وفق التّصوّرات الفكرية التي كان لزاما عليها أن تظلّ مقترنة بمعطيات المرحلة الحضارية والفكرية التي تتمخّض تباعا عن حاضر الأمة العربية عبر مشاريعها القومية التي غالبا ما كانت تتبنّى في طروحاتها الثقافية والفكرية أنموذج القرار السياسي الثوري ، وبناء على إفراط الأديب العربيّ في تحسّس هذا المنزع المناسب فقد تفاعلت عبر ذلك الالتزام قيمتان حضاريتان نراهما غالبتين على روح هذه المرحلة من ثقافة هذا العصر، فقد تجاوبت خلا ل ذلك التصاهر جملة من التّصوّرات الإبتداعية كانت تقوم على الرؤية الاستباقية التي تحاول أن تنظّر للمشروع العربيّ القومي وفق نظريات بعض الزّعماء العرب ومن ثمّة فإنّنا نتصوّر أن لا أحد يقوى على إنكار ما كانت تتمتّع به الثقافة العربية في القطر المصري تبعا لعدّة فرضيات قومية ظلّت تمنح الناقد الأدبي المصري بجملة من مقوّمات النّهوض والظهور والريادة ، وقد لا يكون داعيا إلى التّذكير بأنّ الحسّ القومي العربيّ قد كان سببا في إطلاع أو إنتاج جملة من القناعات الأدبية والفنية على العموم ، لأنّ في إحساس الأديب العربيّ بقوى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّحدّي كان ينتج لديه إحساسا بتبنّي المواقف النّضالية التي غالبا ما كانت الدّاعي الأقوى لشيوع الإجراءات النقدية الأدبية الاجتماعية ، وقد كان النّظر النقدي خلال مراحل هذا الالتزام السياسي والاجتماعي ميّالا لتبسيط الرؤية النقدية والميلان بصورة أكثر وضوحا عن تبنّي القضايا الفنية والجمالية وربّما كان تشبّع الأدبية العربية الجديدة بروح النضال والمقاومة سببا في ظهور كثير من المواقف الإبداعية والنقدية معا ، فقد شهدت المرحلة إياها ظهور روح المروق والتّجاوز والمغايرة بحثا عن صيغة ثقافية تحرّر الفرد العربيّ من الأوهام التّجزيئية السابقة .

وقد لا يقوى واحد من الذين تناولوا خصوصيات هذه المرحلة من نكران فضل ما أدّى إليه التشبّع بالقناعات السياسية التي ملأت دنيا الناس في هذه المرحلة من سيرورة التّحوّل الحضاري العربيّ ، فقد كان لقوّة حسّي الثورة والتّنوير ، وهما الطاقتان الكبريان اللتان تساند إلى فورتيهما الغلاّبتين عصر التّنوير، الدّاعم الأقوى في إثارة روح الثورة الفنية وقد تنامت هذه الروح حتّى صارت غالبة على ما سواها من النّزوعات الفردية كيفما كان صدورها الثقافي أو العاطفيّ .

وبصورة أكثر دقّة وانسجاما مع حقيقة التّحوّلات الثقافية والأدبية التي ميّزت هذه الفترة من تاريخ الأدبية العربية فقد اندمج هذا الحسّ التّحرّري الغالب على حركية المجتمع العربيّ مع جملة من الطروحات الفكرية والنقدية ظلّت توفّر للناقد الأدبي العربيّ الجديد الموئل الأكثر مناسبة لبذل أسباب المغايرة الأدبية وربّما ذهب بعض الباحثين إلى تسمية هذا النّزوع التنويعي التّجديدي في حيّز الثقافة العربية الجديدة على أنّها ضرب من المغايرة عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريق (... التنوّع البارع في معالجة موضوعات هي على قلّة عددها أساسية ونموذجية المثال)[127].

وقد نملك من مثل هذه البراهين ما يصدّق في الذات الأدبية العربية رسوخ روح التّحوّل بما يكفي التّدليل عليه من خلال بعض العيّنات الثقافية التي تؤكّد هذه الوجهة وتصدّقها خاصّة وأنّ مرحلة ابتداء الحداثة كانت ناشئة عن حسّ بالتّأزّم حادّ سكن كلّ أنحاء الوعي المعرفي العربيّ وصار بعدها يتشظى إلى كلّ غاية اجتهادية أو تطوّعية ظلّت تنقذف في كلّ الاتّجاهات والأنحاء حيث أفضى هذا ا لاحتيار ببعضهم إلى القول: (... إنّ المشكلة التي تتحدّانا اليوم تتجلّى في أدبنا الحائر ، وفي فكرنا المضطرب القلق من نحو ، وفي أدبائنا ومفكرينا الحيارى من نحو آخر ... إنّ المشكلة التي نعانيها اليوم هي أنّ أدبنا وفكرنا في أزمة ...)[128] .

ونعتقد أنّ أصوب تقدير للمأزق الذي تخبّطت فيه الأدبية العربية لهذه المرحلة ناشئ عن أزمة هوية واختصاص تاريخي وجغرافي أنتجه حسّ التلاحم الحضاري العالمي الذي ماز مرحلة التّأسيس لحداثة الأدب العربيّ الجديد حيث ظلّ الفكر العربيّ يبحث عن الصيغ العملية الكفيلة بالاشتغال على توضيح القيم والمفاهيم والمذاهب[129] ، فقد أتى تأليف أدونيس ، علي أحمد سعيد الموسوم بالثابت والمتحوّل تكريسا لهذا المسار التبديلي التغييريّ الذي

[127] : أتيان سوريو ، الجمالية عبر العصور ، ترجمة. ميشال عاصي ، ط:1 دار عويدات بيروت لبنان ، 1974 ،ص:186

[128] : د. سعد صائب ، مرايا أدبية ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، مؤسّسة الوحدة للصحافة والطّباعة والنّشر ، دمشق 1979 ،ص:40

[129] : ينظر ، د. سعد صائب ، مرايا أدبية ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، مؤسّسة الوحدة للصحافة والطّباعة والنّشر ، دمشق 1979 ، ص: 38

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظلّ يتبنّى المغامرة الثقافية الكبرى ، فقد أتى نظره هذا مصداقا لتثبيت وجهة الثقافية النقدية ا لأدبية العربية الجديدة ، وهو أي أدونيس إذ يعوّل على بناء نظرية تستصفي حسّ الإبداع العربيّ قارئا إياه من خلال سياقات التّجريب الأدبي العربيّ عبر العصور الطويلة فقد هيمن تبعا لهذا المؤدّى التنظيري توجّه تفكيري يعوّل مليا على إبراز المواقف والأفكار ونقدها من خلال ضبط آليات قواعد الإبداع العربيّ التي تصبّ روحها في ما يمكن أن يسمّى بالتّجاوز (والحداثة الحقيقية هي في الإبداع لا في المنجزات بذاتها)[130]

وخلال استغراق التفكير النقدي الأدبي لمقوّمات مشروع الحداثة الأدبية العربية الجديدة فقد سعى كلّ ساع وراء بلورة هذه الرؤية النقدية إلى استمداد الدّعائم العلمية والمنهاجية وقد كان علم الاصطلاح النقديّ أحد أهمّ سمات هذا الإنجاز ، ولعلّنا لا نغالي أو نبالغ إذا قلنا : إنّ ناقدا مضطلعا بتبيين ثقافة الحداثة الأدبية قد كان لزاما عليه أن يتسلّح بالمقوّمات العلمية والإجرائية التي كانت كفيلة بأن تمدّه بأسباب الذيوع والتّفوّق ، فقد كانت المصطلحات الأدونيسية الحداثية بمثابة الحجر الأساس التي بنيت عليه نظرية النقد الأدبي العربيّ الحداثي ، وبالرّغم ممّا أوخذ به نقد أدونيس للأدبية العربية قديمها وحاضرها فقد ظلّ يهيمن بصورة أكثر وضوحا على الكثير من أوجه الفاعلية الثقافية ، وقد شكّل المصطلح النقدي الحداثي بالنسبة له الحتمية الواقية من الاحتجاجات الثقافية التي غالبا ما كانت تؤاخذه بالمغالطة في تقديم الوجهة الدينية بالنّظر إلى اعتبارات مذهبية أو أيديولوجية بحتة ، ويجدر بنا آنئذ أن

[130] أدونيس علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحوّل ، الأصول ، ط:3 ، دار العودة بيروت لبنان ، 1980 ،ص: 31

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نذكّر بمدى الآثار الارتدادية التي أثارها مصطلحا الثابت والمتحوّل في الساحة الثقافية والأدبية العربية التي كانت في أوج تهيّئها لولوج ثقافة الحداثة النقدية ، غير أنّنا واحتراما للتّرتيبات المنهاجية التي ارتأينا تصنيف الصيغة الاصطلاحية وفقها فإنّه يكون جديرا بنا الإشارة إلى مدى ارتباط وظيفة مصطلحي الثابت والمتحوّل بالمقوّمات النّظرية لا التّطبيقية فقد كان هذا النّمط من اللإجراء الاصطلاحي العامّ الشامل القائم على الرؤية النقدية الشّمولية يوفّر المناخ العامّ الذي من شأنه أن يخدم المبرّرات الفكرية والمنهاجية التي تسوّغ للمثقّف العربيّ الاستنجاد بعلم المصطلح سبيلا لإرساء الرؤية النقدية الأدبية الجديدة .

وبالموازاة مع ما طرأ على خصائص التفكير النقدي الاصطلاحي فقد وجد الناقد الأدبي العربيّ المداخل لفرضيات التفكير النقدي الأدبي الحديث نفسه مضطرا إلى تجريب آليات ثقافية جديدة خاصّة منها تلك التي تتعلّق بالمباحث الفنية والتقنية ، وعلى سبيل المثال فقد كان حقل الدّراسات البلاغية والإيقاعية يحتّم على الباحث الأدبي أن يتخصّص أكثر في الجوانب الفنية والتقنية المتعلّقة بالمسائل البنائية والأسلوبية ، فقد طرأت على المعارف المندرجة تحت هذا الاختصاص من المعرفة الأدبية مكوّنات علمية هي أميل للممارسة التّطبيقية والمخبرية ، وتبعا لذلك فقد صار الدّرس العروضي النقدي التّطبيقي يحتاج إلى تحوّلات معرفية مناسبة لمقدّرات الرؤية الثقافية الطارئة خاصّة بعد أن تبيّن أنّ النّظر النقدي القديم صار لا يلبّي المطالب المعرفية التّطبيقية وربّما حدث ذلك لبعد الأجيال العربية الجديدة عن المنابع المعرفية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية التراثية ، وقد تطلّب هذا الانزياح الزّمني استعدادا منهاجيا ثقافيا يتلاءم مع مقدّرات المرحلة الثقافية العربية .

وإذا ما سعينا إلى تحديد التّحوّلات المعرفية والثقافية المتعلّقة بالإجراء الاصطلاحي خاصّة في حقول الدّراسات اللّغوية والفنية والجمالية فإنّنا نلاحظ مدى التقارب أو الامتزاج بين الدّراسات اللّغوية والدّراسات العروضية والبلاغية والإيقاعية وهو ما كان قمينا بأن يستتبع جملة من الاهتمامات البحثية خاصّة منها تلك التي تتعلّق بالدّرس اللّساني والصّوتي والأسلوبي ،وقدظنّ المنهجون للدّراسات اللّغوية النقدية الجديدة بأنّ الركود بسبب من عدم التّجديد في منهجها ، (... فما ورثناه عن آبائنا من خلط في التفكير اللّغوي لا يزال كما هو...)[131].

وماذا عسى أن يبقى للمتفكر بعد أن يفتقد في آلياته الأدوات الإجرائية الكفيلة بالنّهوض بسداد الرؤية ونجاعة التفكير ؟ ، وقد يكون من الأنسب والأفيد في هذه المناسبة أن ندلّ على أنّ جلّ العلماء والمفكّرين الذين اضطلعوا بانتاج هذه المعارف النقدية التّطبيقية التّجريبية كانوا قد استمدّوا ثقافتهم المنهاجية انطلاقا من احتكاكاتهم المباشرة مع الثقافة الأجنبية إما دارسين أو متكوّنين ، أو موفدين إلى هناك ، ونحسب أنّ العلماء اللّغويين الذين اهتمّوا بهذا التّوجّه وتبنّوه كانوا يذكّرون في كلّ مناسبة بمدى أصالة الوجهة التّحديثية

[131] : ينظر ، د.تمّام حسن ، مناهج البحث في اللّغة ، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع ، الدار البيضاء ، 1986 ،ص:12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

او التّجديدية فقد ظلّوا دائما يتساندون إلى تقوية موقفهم بالتّركيز على توكيد مدى تأصّل منهاج التجديد والتّحديث في الثقافة الأدبية العربية القديمة[132].

ويبدو أنّ التركيز على المصطلح ظلّ المحور الرئيس الذي تسير حوله الرؤية الثقافية الاصطلاحية الجديدة ، وبناء على ذلك الاختصاص البحثي فقد صادفنا علماء الدرس اللّغوي النقدي يصدّرون مؤلّفاتهم بصيغة معجمية للتّعريف الاصطلاحي أو الترميزي لا يمكن الاستغناء عنه في كلّ الأحوال ولعلّه الإجراء الأكثر حداثة الذي تتطلّبه المعرفة المخبرية[133].

[132] : يمظر ، د.تمّام حسن ، مناهج البحث في اللّغة ، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع ، الدار البيضاء ، 1986،ص: 13

[133] : ينظر ، المرجع نفسه ،ص: 17/16

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

لقد نحونا في بحث إشكالية المصطلح النقدي في الأدبية العربية المعاصرة نحوا من التفكير البحثي الذي أثار لدينا جملة من الاهتمامات الملحّة كان إمساسها كفيلا بأن يقذف في فكرنا جملة من التّساؤلات المنهاجية البالغة الحساسية خاصّة منها ما قد يتعلّق بمدى نجاعة الوظيفة الاصطلاحية في حيّز النقد الأدبي العربيّ ، لالشيء إلاّ لكون الوظيفة النقدية الاصطلاحية متّصلة بالتركيز العلميّ الذي من طبيعته اختصار الفكرة او الإخلال بجوهر حقيقتها الإمتاعية.

ولعلّ كلّ باحث عربيّ قارب هذا المنزع البحثيّ لا يقوى على ردّ ما مؤدّاه أنّ الأدبية العربية مسكونة منذ بداياتها الأولية بالممارسة الانطباعية العفوية فالموضوعية الأدبية غير الموضوعية العلمية وكذلك ارتأينا تبيانها خلال فصول بحث إشكالية المصطلح في النقد الأدبي العربيّ المعاصر ، وإنّ الأدبية العربية بانفتاحها على التّجارب الغنائية قد باتت تخشى العلمنة والتّدقيق المنطقي باعتبار هذين المناطين كفيلين بأن يذهبا بكثير من درجات الإمتاع الفنّي والجماليّ .

والتّناقض إذا بات قائما بين الوظيفتين العلمية والجمالية وأحرى بالنقد الأدبي الحديث والمعاصر أن يبحث عن آليات أدائية كفيلة بأن تجنّبه مخاطر الوقوع في أزمة الهوية الجمالية والفنية.

وأيّ شيء يبقى للنّقد الأدبي العربيّ إن هو لم يعد للتّثبّت من الهوية اللّغوية البانية للصيغة الاصطلاحية ، فالمصطلح النقدي الأدبي الترجمي بات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشغل حيّزا معتبرا ولعلّنا لا نغالي إذا ما قلنا لقد صار المصطلح النقدي الغربيّ يمارس ضربا من الإقصاء على الهوية اللّغوية والتفكيرية العربية الراسخة تراثيا.

وبما أنّنا نرى إلى التّداولية الاصطلاحية على أنّها قائمة في شكل استثمار وظيفي للممارسات النقدية التّطبيقية فإنّ حقل الدّراسات النقدية الاصطلاحية في الأدبية العربية المعاصرة أو الحديثة باتت نجاعتها مرهونة بمدى توافر التّجارب الأدبية إبداعا ونقدا على النضج المعرفيّ اللاّزم لاستثمار قوى التفكير العلميّ المؤهّل لإصابة تخريج المصطلح النقدي العلميّ والوظيفي معا ، لأنّ أخشى ما يخشى في هذا السياق هو أن تنتابه الفوضى ويعمّه الإرباك فتنفلش قواها وتنطمس آثاره وينتهي إلى اللاّمعقول.

ثمّ يكون من المنهاجيّ القول بضرورة الإحالة على بحث الخصوصية الاصطلاحية من حيث اقترانها بحقول الإبداع الأدبيّ ، فقد لا حظنا أنّ حقل الإبتداع الشّعري ثابت قيامه على التفكير البلاغيّ الإنشائي الذي قد يضيّق على الإجراء الإصطلاحي الذي من ديدنه أن يبحث عن مناخات تفكيرية قارّة ثابتة ، وكذلك الشّأن حينما يتعلّق الأمر بكتابة الأدب الروائي العربيّ من حيث هو متّصل بتقاليد بلاغية لا سبيل إلى إخفاء مدى تأثيرها في الوظيفة النقدية ، ولعلّ هذا الانشغال هو الذي يشكّل لدينا بؤرة الاهتمام في الكتابات البحثية المقبلة بحول الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

www.manaraa.com

إستدراك لبعض الأخطاء في البحث من حيث :

1- **الهوامش**

2- **الصفحات**

3- **المصادر والمراجع**

4- **الفهرس.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع والمجلات

قائمة المصادر

1. ابن سلاّم ، طبقات الشّعراء ، اللّجنة الجامعية لنشر التّراث العربيّ ، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر
2. ابن المعتزّ ، كتاب البديع ، تح:إيغناطيوس كراتشفو فسكي ، دار المسيرة ،د.ط/ د.ت
3. ابن طباطبا ، عيار الشّعر ، تح: محمّد زغلول سلام ، دار منشأة المعارف بمصر، الاسكندرية ،د.ط/د.ت
4. ابن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ،تح: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط:1980/1
5. أبو حيان التّوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج1 ، علي الزين أحمد أمين ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان
6. أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقلاّني ، كتاب التّمهيد ،تح:الأب رتشرد يوسف ماكارثيا ليسوعي، المكتبة الشّرقية بيروت ،د.ط/ 1957
7. الجاحظ ، البيان والتّبيين ، مج:1 ، ج:1،دار إحياء التّراث العربيّ ،بيروت لبنان ، د.ط/1968
8. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الآعجاز ، تح: السيّد محمّد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت لبنان
9. المبرّد ، الكامل في اللّغة والأدب ،ج:2 ، مكتبة المعارف بيروت لبنان ، د.ط/د.ت
10. القزويني ، الإيضاح ، في علوم البلاغة ، مج:2 تح: د. محمّد عبد المنعم خفاجة ، دار الجيل بيروت ، ط:1993/3

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المراجع

1. أدونيس ، علي أحمد سعيد ، فاتحة لنهايات القرن ،دار العودة بيروت لبنان 1980
2. أدونيس علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحوّل ، الأصول ، ط:3 ، دار العودة بيروت لبنان ، 1980
3. د.أدونيس علي أحمد سعيد ، مقدّمة للشّعر العربيّ ،ط:3دار العودة بيروت 1979
4. إلياس خوري ، الذّاكرة المفقودة ، دراسات نقدية ، ط:1 ، مؤسسة الأبحاث العربية 1982
5. أنور المرتجى ، سيميائية النّصّ الأدبيّ إفريقيا الشذوذ ، الدّار البيضاء
6. بسام قطّوس ، سيميائية العنوان ، عمّان الأردن
7. توفيق الزّيدي ، مفهوم الأدبية في التراث النقدي ، سراس للنّشر ،1985
8. حسن ناظم ، مفاهيم الشّعرية ، المركز الثقافي العربيّ ، الدار البيضاء المغرب
9. د.تمّام حسن ، مناهج البحث في اللّغة ، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع ، الدار البيضاء 1986
10. د.حلمي مرزوق ، تطوّر النقد والتّفكير الأبي الحديث في الربع الأوّل من القرن العشرين ، دار النّهضة العربية بيروت لبنان 1982.
11. د.خليل أبو جهجه ، الحداثة الشّعرية العربية بين الإبداع والتّنظير والنّقد دار الفكر اللّبناني ،
12. د.رجاء عيد ، المصطلح في التّراث النّقديّ ، منشأة المعارف بالأسكندرية ،د.ط/د.ت
13. د.سعد صائب ، مرايا أدبية ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، مؤسّسة الوحدة للصحافة والطّباعة والنّشر دمشق 1979
14. د. شكري محمد عياد : المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين عالم المعرفة ،الكويت سبتمبر 1993 ، ع177
15. د.عبد العزيز حمودة المرايا المحدّبة : من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1998.
16. د.عزّ الدين إسماعيل الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ط:3 ، د ارالعودة بيروت
17. د. قاسم المومني ، شعرية الشّعر ط1 مطبعة الجامعة الأردنية عمّان 2002
18. د.مصطفى ناصف ، الصّورة الأدبية دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
19. د. مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ط:2 ، دار الأندلس 1981
20. د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، دليل النّاقد الأدبي ، ط2 ، المركز الثقافي العربي سنة 2000

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

21. د.عائشة حسين فريد ، منهج البحث البلاغيّ ، دار قباء للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ط:1/1977
22. دتامر سلّوم نظريّة اللّغة والجمال في النّقد العربيّ ، دار الحوار للنّشر والتّوزيع ، ط:1/1983
23. د عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائريّ القديم، دراسة في الجذور، دار هومه 2005
24. د.عبد السّلام المسدي المصطلح النقدي ، ط ، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتّوزيع تونس 1994
25. د.عبد السّلام المسدي ، النقد والحداثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت ، لبنان ط1 ديسمبر 1983.
26. سعيد بن زرقة ، الحداثة في الشّعر العربيّ ، أدونيس نموذجا ، أبحاث للتّرجمة والنّشر والتّوزيع ،بيروت لبنان
27. شكري فيصل ، مناهج الدّراسة الأدبية في الأدب العربي، عرض ونقد واقتراح ،ط:5 ، دار العلم للملايين 1982
28. عزّ الدّين المناصرة ، المثاقفة والنقد المقارن ، منظور إشكاليّ ط1 ، المؤسّسة العربية للدراسات والنّشر 1996
29. قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الإنسانية (أعمال ندوة مكناس المغرب 2000)
30. محمد المبارك ، استقبال النّصّ عند العرب ، ط:1 المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر 1999
31. مركز دراسات الوحدة العربية ، ندوة : اللّغة العربية والوعي القومي ، ط:1 بيروت
32. مصطفى لطفي اليوسفي ، في بنية الشّعر العربيّ المعاصر ، دار سراس للنّشر 1985
33. مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ج1 ط4دار الكتاب العربيّ بيروت لبنان ، 1974
34. مهدي أسعد عرار ، جدل اللّفظ والمعنى ، دراسة في دلالة الكلمة العربية ط1 ، دار وائل للطّباعة والنّشر عمان الأردن 2002 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المراجع المترجمة

1. أتيان سوريو ، الجمالية عبر العصور ، ترجمة د. ميشال عاصي ، ط:1 دار عويدات بيروت لبنان ، 1974
2. تزفيطان طودوروف ، الشّعرية ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنّشر المغرب
3. أندريه مارتيني ، مباديء في اللّسانيات العامّة ، تر:د.سعدي زبير ،دار الآفاق 1999
4. جيرار جينيت ، مدخل لجامع النّصّ ،تر:عبد الرحمن أيّوب ، ط:2دار طوبقال الدّار البيضاء 1986
5. غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر: غالب هلسا ، كتاب الأقلام ، بغداد .1980
6. جمال الدّين بن شيخ ، الشّعرية العربية ،ترجمة : مبارك حنّون ، ومحمّد الولي ومحمد أوراغ ، ط:1 دار توبقال للنّشر الدار البيضاء ، المغرب ، 1996
7. خوسيه ماريابوثويلو إيفانكوس ، نظرية اللّغة الأدبية ، تر: د. حامد أبو أحمد مكتب غريب

قائمة المراجع الأجنبية

1. Ferdinand de saussure . cours de linguistique generale/ paris payot. 1978
2. Emile. benveniste . semiologie de la langue : problemes de linguistique generale / paris; gallimard 1965

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المجلات

1. مجلة الفكر تونس ، جانفي 1970
2. مجلة ثقافة التونسية ، ع: 8 صيف 1972
3. مجلّة فصول ، ع:3 أفريل 1981
4. مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس المغرب 1988
5. مجلّة الفكر العربيّ المعاصر ، ع: 61/60 عام 1989
6. مجلة الحداثة ، جامعة وهران 1993
7. مجلّة عالم الفكر ، مارس 1996
8. مجلّة علامات جويلية 1996
9. مجلّة علامات مارس 1996
10. مجلّة علامات سبتمبر 1999
11. مجلّة حوليات الجامعة ، ع:1 / 1999
12. مجلّة علامات سبتمبر 2001
13. مجلة المترجم ، ع:1 ، جوان 2001
14. مجلّة علامات يونيو :2001
15. مجلّة علامات مارس 2002.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهرس

الفصل الأول

1-إشكالية المصطلح في النقد العربيّ المعاصر:..... 2

1-1-سمات الإشكال في النقد الأدبيّ العربيّ المعاصر:..... 3

1-2- تاريخ النّزوع النقدي الاصطلاحي : 5

1-3- المصطلح النقدي :..... 6

2-خصائص إبتداع المصطلح النقدي البديعيّ : 8

2-2-ملابسات المنشأ الاصطلاحيّ: 11

2-3-التأريخ لميلاد المصطلح في النقد الأدبي العربيّ:..... 17

2-4- الغسل والإخلاء سبيلا إلى تفعيل القيم التّأويليّة :..... 27

3- القيمة اللّغوية والصرفية للنّزوع الاصطلاحي:..... 30

الفصل الثاني

1-معترك التّصوّر الاصطلاحيّ : إشكال الرؤية الاصطلاحية..... 34

1-1- الوجهة الاصطلاحية في نقد الشّعر العربيّ:..... 34

1-2-مداخلة النقد الأدبيّ العربيّ لفضاء الحداثة:..... 37

1-3-القيمة التّوثيقية للمصطلح النقديّ :..... 47

1-4- مصطلح العصرنة :..... 52

1-5- حقول الاستعمال النقدي التطبيقية:..... 65

1-6- ثقافة الملاحق الاصطلاحية:..... 75

الفصل الثالث

1- المصطلح النّقدي : 82

2- التلاؤم الدّلالي بين اللّغة والمصطلح النقديّ : 94

3- الهوية الاصطلاحية للتقديمات النقدية والتّعاريف:..... 97

4-أثر ثورة المصطلح النقديّ في تنميةالتفكير النقديّ :..... 106

5-ثورة المصطلحات الشّعرية:..... 107

6-موالج الدّرس النقدي الحداثي: 114

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7-المائز المنهاجيّ بين المصطلح النّظري والاصطلاح التّطبيقيّ: 118
8-خصائص تجليات النّزوع الاصطلاحيّ :..... 122
9-نزوع النقد الأدبي الإجرائي التّطبيقيّ: 125

الخاتمة..... 132

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر..... 135
قائمة المراجع 137
قائمة المراجع الأجنبية 138
قائمة المراجع المترجمة 139
قائمة المجلات..... 140

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com